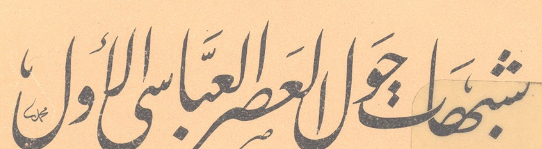


نحو عقلية
اسلامية واعية

٦



شبهات حول العصر العباسي الأول

الدكتور مؤيد فاضل ملا رشيد





شبهات حول العصر العباسي الأول

نحو عقلية إسلامية واعية (٦)

شبهات حول العصر العباسي الأول

الدكتور مؤيد فاضل ملا رشيد

الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ ـــ ١٩٨٦ م

الناشر

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع
المنصورة ـــ أمام كلية الطب
☎٣٢٧٤٢٣ ـــ ص ب ٢٣٠

مقدمة الناشر

لا تزال هناك صفحات مطوية من تاريخ أمتنا المديد ، يتناولها الناس بما فيها من شوائب وأحداث ، ما كتبها أصحابها إلا بإيحاء من نزعات النفس والهوى ، فوضعوا من أقدار كثير من رجالات التاريخ الإسلامي وعظمائه ، شوهوا كثيراً من أحداثه ومعالمه ، ونظر كثير من المحدثين الذين تربوا في أحضان الغرب ، وتحت لواء الاستعمار إلى تاريخ أمتنا الإسلامية ، فلم يخرجوا منه إلا بما ضَعُف من الروايات التي تظهر بعض مظاهر السوء والفساد التي لا يخلو منها عصر فوضعوها علامة العصر وروحه ، وجعلوا سواها من مظاهر التقوى والورع والإيمان والجهاد غيباً يستخفى به أصحابه عن عيون الناس .

وكان من هذه العصور التي افترى عليها من سمّوا أنفسهم بالمؤرخين « العصر العباسي الأول » حتى أنه ليخيّل إلى القارىء ـ لما كتبوه ـ أن العصر ما كان إلا أمة من السكارى والمتماجنين ، القائمين القاعدين بين القيان والغناء الخمر ، وقد ساعدهم على ذلك أبواق الدعاية التي سخرها لهم أعوانهم ممن انسلخوا عن هويتهم وانتمائهم . إن تاريخ الأمة الإسلامية المديد لهو في مسيس الحاجة إلى مؤرخين مخلصين من أبناء هذه الأمة يمحون عنه ما علق به من شوائب وأدران ، خلفتها عصبيات جاهلية ، ونزعات طائفية ، وانحدارات أخلاقية ، علقت بأفكار هؤلاء الذين

غابوا عن الوعي والإدراك ، فطافوا مقلدين ناقلين ، لا يتحرون في الخبر ما دامت به فتنة ، ولا يبحثون عنه طالما يؤدي إلى فرقة بين صفوف المسلمين ، ولا تزال نفثة اليهودي « عبد الله بن سبأ » تجد لها في كل عصر أعواناً من شياطين الإنس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ، وأصبح من ينظر إلى تاريخ المسلمين من خلال هؤلاء لا يجد إلا حكاماً تحكمهم الأهواء والنزوات ، ونزعات الشيطان والنفس وكأن اتساع رقعة الدولة الإسلامية في تلك العصور ما تمَّ بالجهاد والتضحيات وإخلاص الخلفاء والولاة . وإنما تم بالنزاعات والشقاقات والفساد الذي كان يعيش فيه هؤلاء .

لقد آن الأوان لكي تجد هذه الأمة بعض المخلصين من أبنائها يبدؤن في صياغة تاريخ هذه الأمة من جديد ، يمحون عنه مالحق به من أدران وشوائب ، ويبترون عنه ما لحقه من حقد وكيد ومكر صاغه أبناء يهود ، فيعرف المسلمون تاريخ أمتهم واضحاً جليّاً بما فيه من محاسن ومساوىء كل حسب قدره وقيمته ، خاليا من كل النزعات والأهواء إلا إرضاء الله والتماس الأجر والمثوبة منه .

وهذا البحث الذي يدور في مناقشة « شبهات حول العصر العباس الأول » والتي أعدها الدكتور مؤيّد فاضل ملاّ رشيد ـ أكرمه الله ـ تقدمها دار الوفاء إلى المسلمين في شتى أنحاء المعمورة ، سائلين الله سبحانه وتعالى أن يعمّ بها النفع والفائدة وأن تكون عوناً على إيجاد

العقلية الإسلامية الواعية .

كما نوجه الدعوة إلى كل المؤرخين المنصفين من أبناء هذه الأمة كي يعملوا على إعادة صياغة تاريخ هذه الأمة من جديد .

وعلى الله قصد السبيل

الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ختم النهار آخر صفحاته ، ولفظت الشمس آخر أنفاسها ، وأوقد الليل قناديله المتناثرة في أبراج السماء ، وتناول الظلام قيثارته وراح يعزف لحنه الناعس ، وما هي إلا سويعات حتى استجابت الأجساد المرهقة لذلك اللحن ، إلا أن قلوباً ذوات عزيمة صادقة ، راحت تصارع النوم ، وتدافع النعاس ، أصمت أذنها عن ذلك اللحن الرتيب ، واستجابت للهاتف الداخلي ، الذي عاشت معه منذ زمن طويل ، فكان نهارها قلقاً ، وليلها أرقاً ، وكانت هذه الليلة آخر تلك الليالي ويفتح الصباح عينيه ، ويفيق النهار على ضحكة الشمس ، فيبتسم بضحاه ، وكأني بأرجاء الكون تتلو بخشوع قوله تعالى : ﴿ **قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير** ﴾[١] ، فيعم الصدى الآفاق ، ويستجيب الجميع للإرادة العالية ، والمشيئة القاهرة ، « وفي صباح يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول من عام ١٣٢ هـ خرج أبو العباس من مخبئه بحفل رسمي ، حضره القواد والأمراء وجماعة من أفراد الأسرة العباسية ، ودخل مسجد الكوفة »[٢] ،

---

(١) آل عمران آية ٢٦ .

(٢) هارون الرشيد ـ د . عبد الجبار الجومرد ١ / ٢٧ مطبعة دار الكتب بيروت ١٩٥٦ .

« وارتقى المنبر ، فاشرأبت إليه الأعناق وأصغت إليه الآذان ، فإذا هو يحتج بآي القرآن الكريم على أن بيته العباسي أحق بالخلافة من بيت العلويين[١] » ، ثم تؤخذ له البيعة بالخلافة ، وتفتح بذلك الستارة على دولة جديدة ، نصبت من نفسها حامية للإسلام وأهله ، مبلغة دعوته ، مجاهدة عدوه ، ظهرت للعيان بعد عمل طويل ، وجهد جهيد ، وصبر وعزم وتصميم ، وعلى رأسها أولئك القادة الذين كان عيسى بن علي إذا ذكر خروجهم من الحُمَيْمَة[×] يريدون الكوفة يقول عنهم : إن نفراً أربعة عشر رجلاً خرجوا من دارهم وأهلهم يطلبون مطالبنا ، لعظيم همهم ، كبيرة أنفسهم ، شديدة قلوبهم »[٢] .

كان ذلك الحدث الذي هز الكوفة ، بل الدولة كلها ، هو بداية الدولة العباسية ، وبداية العصر الجديد الذي عرف بالعصر العباسي الأول .

واشتهر هذا العصر بخصبه ونمائه وازدهاره ، فما من جانب من

---

(١) العصر العباسي الأول ـ د . شوقي ضيف ص ١٣ ط ٦ دار المعارف بمصر ١٩٧٦ .

(×) الحُمَيْمَة : بلد من أرض الشراة من أعمال عَمّان في أطراف الشام كان فيها منزل بني العباس . انظر معجم البلدان لياقوت الحموي وإرصاد ودار بيروت ٢ /٣٠٧ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ـ لابن جرير الطبري ـ ٧ / ٤٢٨ دار المعارف بمصر وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٥٧ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط ٤ الفجالة الجديدة بالقاهرة ١٩٦٩ .

جوانبه إلا وصل فيه الازدهار والتقدم إلى الذروة ، وقد كانت تسميته بالعصر الذهبي لها النصيب الأوفى من الحق والواقع .

وكان بودي أن أكتب طويلاً في أحوال هذه الدولة ، بنواحيها المختلفة ، لأعكس للقارىء الكريم صورة ذلك العصر الذي حكمه أولئك الخلفاء ، ليتبين لنا روح العصر ، وحالة مجتمعه ، وألوان ثقافته ، وصفات أدبه الذي هو وليد تلك التفاعلات البيئية ، والصراعات السياسية ، والتيارات الفكرية ، والدوافع والاستجابات العاطفية .

ولكن

لأني لا أومن بتكرار الدراسات وإعادتها كما هي ، علماً بأن جهوداً هائلة قد بذلت لدراسة هذا العصر ، وكثرة من البحوث تناولته بالبحث ، بل إني وجدت بحوثاً علمية متخصصة في جزئية محددة من جزئيات هذا العصر مثل : « معاهد التعليم في العصر العباسي الأول » [١] ، و « رسالة في الحالة العلمية في صدر الدولة العباسية » [٢] و « التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول » [٣] و « تطور نظام

---

(١) رسالة قدمها أبو العينين محمد أبي العينين نجم سنة ١٩٣٧ لجامعة الأزهر الشريف .

(٢) رسالة قدمها محمد السيد أحمد إسماعيل خليفة لجامعة الأزهر الشريف .

(٣) رسالة دكتوراة قدمها مجاهد مصطفى بهجت سنة ١٩٧٥ لجامعة الأزهر الشريف .

الوزارة من بداية العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري »[١] و « تاريخ الألقاب والمراسيم في الإسلام »[٢] و « نظام البريد في الدولة الإسلامية »[٣] و « تاريخ اللباس في العصر العباسي الثاني »[٤] و « التزين والحلي عند المرأة في العصر العباسي »[٥] ، وغير ذلك .. ، هذا فضلاً عن كتب التراث المطبوعة والمخطوطة ..

بيد أني رأيت أن أقدم دراسة نقدية موجزة لهذا العصر ، لا أذكر فيها الحالة الاجتماعية والسياسية والثقافية والأدبية ، كما هو المتبع في الدراسات والبحوث ، بل أسجل فيها نظرة جديدة موجزة ، ونظرية تصحيحية لما شاع عن هذا العصر من وصف لمظاهره وأحواله في الدراسات القديمة والحديثة .

ولا أدعي أني أبو عذرتها ، إذ قد نبه إلى هذه النظرية أو إلى جزء

---

(١) رسالة ماجستير قدمتها سامية توفيق عبد الله سنة ١٩٧١ لجامعة القاهرة .

(٢) رسالة دكتوراة قدمها حسن الباشا حسن محمود سنة ١٩٥٢ لجامعة القاهرة .

(٣) رسالة ماجستير قدمها نظير حسان سعداوي سنة ١٩٤٤ لجامعة القاهرة .

(٤) رسالة قدمها صلاح حسين العبيدي لجامعة القاهرة .

(٥) رسالة ماجستير قدمتها زكية عمر العلي لجامعة بغداد ونشرتها وزارة الإعلام العراقية في سلسلة الكتب الحديثة برقم ٩٩ سنة ١٩٧٦ .

منها بعض الأقدمين مثل ابن خلدون[١] ، وبعض المحدثين[٢] ولكني أريد أن أجدد ما تقادم عليه العهد فاندثر في طيات النسيان وسأعرض ما شاع عن العصر من أخطاء ـ عفوية ومتعمدة ـ في الدراسات الحديثة .

صورة العصر العباسي الأول في الدراسات السابقة :

وصف هذا العصر بأقبح ما يمكن أن يقال عن عصر من العصور ، ووصم خلفاؤه بكل نقيصة ومروق ، وكل ما يثلب الدين والعرض والخلق ، ووصفت الدولة بأنها دولة العار والشنار قامت على الظلم والعسف والجبروت ، وعُرّي المجتمع من الشريعة وهيمنتها ونزع الإسلام وأحكامه من النفوس ، وجردت الحضارة الإسلامية من كل أصالتها .

فالعصر ـ كما يصفونه ـ هو عصر الترف والانحلال والشذوذ والخلفاء شياطين مردة ، ليس لهم من الدنيا إلا اللهو والعبث بالغلمان فضلاً عن

(١) مقدمة ابن خلدون ١ / ٢١٩ وما بعدها ط ١ لجنة البيان العربي تحقيق د . علي عبد الواحد وافي .

(٢) مثل المرحوم د . مهدي صالح السامرائي في مقال له نشره في مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد عدد ٤ سنة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م ص ٢٠٨ وما بعدها .

ومثل د . ناجي معروف في كتابه أصالة الحضارة العربية ط ٢ مطبعة التضامن بغداد ١٩٦٩ م انظر المقدمة والصفحات ١٨ ، ٤٨ ، ٣٨٧ وغيرها .

الإماء ، وهم مجان خمارون فسقة ، ملطخة أيديهم بالدماء والذنوب والآثام ، وهم مخادعون خدعوا شعوبهم وسلبوهم أموالهم ، فراحوا ينفقونها على ملذاتهم ، وعبثهم ، ولهوهم ، وفجورهم ، وليس لله عندهم عهد ولا ذمة .

من ذلك ما يقوله الدكتور شوقي ضيف ـ بعد أن يذكر الترف والبذخ في ذلك العصر ـ: « ولا ريب في أن هذا البذخ إنما كان يتمتع به الخلفاء وحواشيهم من البيت العباسي ومن الوزراء والقواد وكبار رجال الدولة ومن اتصل بهم من الفنانين شعراء ومغنين ومن العلماء والمثقفين ، وكأنما كتب على الشعب أن يكدح ليملأ حياة هؤلاء جميعاً بأسباب النعيم ، أما هو فعليه أن يتجرع غصص البؤس والشقاء ، وأن يتحمل من أعباء الحياة ما يطاق وما لا يطاق ، ومرد ذلك إلى طغيان الخلفاء العباسيين الذين حرموا الشعب حقوقه وطوقوه بالاستعباد والاستبداد والعنف الشديد وقد مضوا هم وبطانتهم يحتكرون لأنفسهم أمواله وموارده الضخمة ، بحيث كانت هناك طبقة تنعم بالحياة إلى غير حد ، وطبقات قتر عليها في الرزق ، فهي تشقى إلى غير حد ، واضطرب أوساط الناس من التجار وغيرهم بين الشقاء والنعيم »[١] .. وبعد أن يذكر الترف والبذخ في البناء والقصور والأثاث والملابس والعطور ..

---

(١) في كتاب : العصر العباسي الأول ص ٤٥ دار المعارف بمصر ط ٦ .

يقول[١] : « ولا ريب في أن هذا كله كان على حساب العامة المحرومة التي كانت تحيا حياة بؤس تقوم على شظف العيش لينعم الخلفاء والوزراء والولاة والقواد وكبار رجال الدولة وأمراء البيت العباسي الذين بلغوا هم وأبناؤهم نحو ثلاثين ألفاً لعهد المأمون . وطبيعي أن يعم البؤس والشقاء من جانب ، بينما يعم النعيم والترف من جانب آخر ، بل لقد كان من الشقاء والبؤس أكثر الجوانب في الحياة العباسية ، فالجمهور يعيش في الضنك والضيق لا الرقيق منه فحسب الذي كان يعمل في القصور والضياع ، بل أيضاً جمهور الناس من الأحرار ، وكأنما كانوا جميعاً أرقاء في هذا النظام الذي كفلت فيه أسباب النعيم ووسائل الترف لأقلية محدودة استأثرت لنفسها بطيبات الأرض والرزق وزينة الحياة » ويقول في موضع آخر[٢] : « وبذلك أصبحنا إزاء حكم استبدادي أشد ما يكون الاستبداد ، حكم لا يحسب فيه أي حساب للرعية ، فهي أدوات مسخرة للحاكم ، وليس لها من الأمر أي شيء ، ففي يده كل الأمر وكل السلطان » ، ثم يقول[٣] : « ولعلنا لا نغلو بعد ذلك كله إذا قلنا أن النظم السياسية والإدارية في الدولة العباسية طبعت بطوابع فارسية قوية ، تحولت في أثنائها الخلافة ملكاً كسروياً يقوم على الاستبداد

---

(١) المرجع السابق ص ٥١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥ ، ٢٦ .

والقهر والبطش الذي لا يعرف رفقاً ولا ليناً ».

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الدكتور محمد مصطفى هدارة عند حديثه عن الخلفاء حيث يقول[١] : « وكانت شخصية المهدي أقل تزمتاً من المنصور، فكان يحب السماع ويستهتر بذكر النساء » . ويقول عن الهادي : « فمع أنه كان صاحب شراب ومجون ، إلا أنه جد في طلب الزنادقة والقضاء عليهم ..[٢] » ، ثم يصف عصر النقلة الاجتماعية الخطيرة التي حدثت في عصر الرشيد ، بأن الناس قد أغرقوا فيها بالملذات ، والعشق ، وليس هذا فقط بل يقول[٣] : « كما نجد أيضاً أن عادة شرب الخمر قد مست حتى الهيئات الدينية » !

ثم يصف الحالة الاجتماعية بعد الرشيد وفي عصر الأمين بالذات فيقول[٤] : « صارت إغراقاً في اللهو وانحرافاً عن كل شعائر الدين بل لقد ظهر في عصر هذا الخليفة أثر الشذوذ الجنسي الذي كان قد استفحل أمره في هذه الفترة » وعن لهو المهدي يقول الأستاذ صلاح عبد الهادي

---

(١) المأمون الخليفة العالم ص ١٧ أعلام العرب رقم ٥٩ ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر .

(٢) المرجع السابق ص ١٧ و ١٨ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨ .

(٤) المرجع السابق ص ١٩ .

مصطفى الحيدري عند حديثه عن الوزارة[١] : « ولم تلبث سلطة الوزارء أن ازدادت بعد وفاة المنصور واستخلاف المهدي الذي انصرف إلى اللهو .. » ويقول عن الهادي : « وغصت مجالس الهادي بأعداد كبيرة من المغنين والمغنيات[٢] » وعن الرشيد يقول[٣] : « كانت مجالس الرشيد تغص بكبار المغنين والجواري والمغنيات والموسيقيات ، وقد روي أنه اتخذ ألفي جارية ، كانت لكل جارية منهن ميزة خاصة تصحبهن ثلثمائة قينة للغناء والموسيقى » .

ومن ذلك أيضاً ما تذكره الدكتورة زاهية مصطفى قدورة عن الخلفاء وشربهم حين تقول[٤] : « كان الخلفاء الأمويون كلهم يشربون ويعقدون مجالس اللهو والغناء ماعدا عمر بن عبد العزيز ، وكان بلاطهم صورة مصغرة لما كان عليه البلاط العباسي الذي كثرت فيه مجالس الشراب ، ولم يعد الخلفاء الذين كانوا جميعاً يشربون ويسمرون ماعدا

---

(١) ص ٥٢ من رسالته للماجستير (المجتمع العراقي في العصر العباسي الأول) التي تقدم بها لجامعة الإسكندرية / كلية الأداب سنة ١٩٧١ م .

(٢) المرجع السابق ص ٨٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٦ .

(٤) ، في رسالتها للدكتوراة (الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول) ص ١٥٥ وص ٥٢ المقدمة إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١ م .

المنصور يجدون حرجاً في الشرب واللهو وهذه كلها عادات كسروية » ثم تذكر بأن الخلفاء العباسيين تغافلوا عن الدين وتطبيقه فتقول : « أما وعودهم البراقة وتطبيقهم لشعائر الدين والسنة من عدل ومساواة فقد تغافلوا عنها تماماً وكأنها لم تكن[١] » .

وأما عن المجتمع عامة فقد صوروه بأنه يقوم على صراع طبقي مقيت ، تسخر فيه الطبقة المسحوقة من الموالي والحرفيين والزراع وغيرهم لخدمة أسيادهم من الطبقة (الأرستقراطية) العالية ـ كما مر بنا سابقاً ـ وهو عندهم مجتمع أوزار وآثام تحتل منه رقصة الفساد المساحة العظمى ، حيث انتشرت فيه دور اللهو والمجون وحانات الخمر والرقص والغناء ، وكان الشعراء الخلعاء المتحللون ، والمجان الفاسدون يحظون بكل الإجلال والتقدير ، والصفة الغالبة على المجتمع هي اللهو والعبث ، والطرب والسكر والغناء ، والغزل والنسيب والتشبيب ، واتخاذ القيان والخليلات والعشيقات .

وترد لنا صورة المجتمع هذه في كتب كثيرة وعلى ألسنة كثير من الباحثين ، أذكر بعضاً منها على سبيل المثال :

فهذا الدكتور شوقي ضيف يصور لنا عادة شرب الخمر خلال ذلك

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٥ وص ٥٢ .

العصر فيقول[١] : « ومن يقرأ في الأغاني لأبي الفرج يخيل إليه أن الناس جميعاً شرفاء ومشروفين قد تورطوا في إثمها تورطاً ، وكان منهم من يسرف في شربها إسرافاً شديداً حتى ليتناول منها عشرة أرطال دفعة واحدة .. »

وعند تناوله لعادة شرب الخمر يتحدث عما أدت إليه هذه العادة فيعطي خلال ذلك صورة للعصر فيقول : « ومما لا ريب فيه أن إدمان الخمر حينئذ دفع إلى كثير من المجون والعبث والإباحية وكأن المجتمع زاخراً بزنادقة وملاحدة وأناس من ديانات شتى مجوسية وغير مجوسية ، فمضى كثيرون يطلقون لأنفسهم العنان في ارتكاب الآثام متحررين من كل قانون للخلق والعرف والدين »[٢] .

ويحاول الدكتور محمد عويس محمد أن يعلل ظاهرة المجون التي وصف بها ذلك العصر فيقول : « إنما أخذت أصباغ المجون على الحياة الاجتماعية العباسية تظهر لعهد المهدي ذلك أن الحياة الاجتماعية في عهده تحولت من طور الجد والكفاح إلى طور آخر يناسب حياة فيها سعة في المال وطرف من النعيم ، وألوان من اللهو واللعب .. »[٣] ، ثم يقول : « حتى

---

(١) العصر العباسي الأول د ، شوقي ضيف ص ٦٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٧١ .

(٣) ص ٣٩٤ من رسالته للدكتوراة المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ التي قدمها لجامعة القاهرة سنة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ م .

أننا لا نصل إلى عهد الأمين إلا ونزعة المجون قد استفحل أمرهـا ، وأمعن اللاهون في مجونهم .. »[١] .

وتحدث الأستاذ صلاح عبد الهادي مصطفى الحيدري عن المجتمع العباسي فيقول : « ما أن تولى الخليفة المهدي عرش الخلافة ، حتى أباح اللهو والطرب وغلبت شهوة الغناء والطرب على طبقات المجتمع العباسي كافة ، فانطلق الناس وخاصة الطبقة العليا إلى عقد مجالس الغناء التي حرموا منها طيلة عهد المنصور المتزمت ، وأصبح قصر المهدي مجمع المغنين والموسيقيين »[٢] .

وأما عن حضارة العصر فهي وافدة في رأيهم ، وأنها مزيج من الحضارات الأجنبية ، وكل ما فيها أجنبي ، نظم الإدارة والخلافة والوزارة ، والبريد ، وختم الكتب ، والعلوم والثقافات ، والفنون والعقائد ، والملابس ، والحلي ، والألقاب وغير ذلك .. ويعللون كل هذا بأن العرب المسلمين الذين أسسوا هذه الدولة ومن قبلهم كانوا خلوا من هذه الألوان الحضارية ولأنهم اختلطوا بعد الفتوح بالفرس أصحاب الحضارة العريقة والرومان الذين لا يقلون عنهم ، والهنود الذين يشبهون سابقيهم لذا تحضروا بهذه الحضارات ، وليس هذا فقط بل إنه

---

(١) المرجع السابق ص ٣٩٥ .

(٢) ص ٨٣ من رسالته للماجستير المجتمع العراقي في العصر العباسي الأول التي قدمها لجامعة الإسكندرية سنة ١٩٧١ م .

حتى اللغـة العربيـة والشعر العربي ، لم يسلمـا من هـذا التـأثير حتى حلا لبعضهم أن يحصي الألفاظ الأعجمية التي دخلت في الشعر العربي في هذا العصر ..

من ذلـك مثلاً ـ مـا يـذكره الأستـاذ صلاح عبـد الهـادي مصطفى الحيـدري عنـد تحـديـده العصر العبـاسي الأول حيث يقول : « والمقصود بالعصر العباسي الأول هو الفترة التي تمتد من سنـة ١٣٢ هـ إلى ٢٣٢ هـ ، وهـذه الفترة تعرف عنـد الكتـاب بـالعصر الفـارسي تمييزاً لها عن العصر الأموي .. »[١] .

ومن ذلك أيضاً ما تقوله الدكتورة جهادية القراغولي : « لمـا قـامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس تأثرت الخلافـة بنظم الحكم السـاسـاني المرتكـز على نظريـة الحـق الملكي المقـدس ولـذا أصبـح الخليفـة العبـاسي شخصاً مقدساً وأنه ظل الله في الأرض .. »[٢] .

وحين تبين الدكتورة زاهية مصطفى قـدورة تـأثر الشعب العبـاسي بالعادات الفارسيـة تعطي لنـا صورة للصبغـة الفـارسيـة التي انصبغ بهـا

(١) المرجع الســابق ص أ .

(٢) ص ٥٧ من رسـالتهـا للـدكتـوراة « التنظيمـات الإداريـة والعسكريـة في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول » التي تقدمت بها لكلية البنـات جـامعـة عين شمس ١٩٧٤ م .

المجتمع العباسي وبلاطه حيث تقول : « تأثر الشعب في حياته الاجتماعية بالعادات والتقاليد الفارسية ، غير أن هذا التأثر يظهر بشكل واضح في بلاط الخلفاء الذين ساروا في حياتهم الخاصة والعامة على نهج الأكاسرة فأغرقوا في الترف وأكثروا حولهم من مظاهر الأبهة والعظمة وأحاطوا أنفسهم بحاشية كبيرة ونصبوا على أبوابهم الحجاب . إلى غير ذلك مما هو غريب عن العرب وحياتهم القاسية الخشنة .. »[١] .

وحين يتكلم الدكتور محمد مصطفى هدارة عن حضارة العصر العباسي يبين أنها حضارة وافدة ، وأنها عبارة عن مزيج من الحضارات تلون بها ذلك العصر فيقول : « ومما لا شك فيه أن العرب ـ بدرجة تحضرهم المحدودة ـ لم يستطيعوا أن يتجنبوا المؤثرات الحضارية القوية التي تسلطت عليهم من الحضارتين البيزنطية والفارسية على السواء ، وكانتا أرقى حضارتين في العالم في ذلك الوقت ، فأقبلوا على ما فيها من فخامة وأبهة في الثياب والدور والمآكل والمشارب وأفانين اللهو والاستمتاع بالملذات »[٢] ، ويقول أيضاً : « أخذت الحياة الاجتماعية العربية تتعقد بتأثرها بحضارات مختلفة وأصبح شرب الخمر فيها والعكوف على الملذات

---

(١) ص ١٥٥ من رسالتها للدكتوراة « الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول » .

(٢) ص ٦ من كتابه « المأمون الخليفة العالم » .

شيئاً طبيعياً ، ومظهراً من مظاهر الحضارة في هذا العصر »[١] ، ثم يقول : « فقد تأثرت الأزياء والأعياد بنظم الحضارات الأجنبية وكذلك حركة البناء والعمران والأطعمة والأشربة .. »[٢] .

وعن التأثر بالساسانيين يقول الدكتور شوقي ضيف : « وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي وجدنا النظم الساسانية تنتقل بجذافيرها في كل شؤون الحكم ، وكأنما أصبح الخليفة العباسي ملكاً ساسانياً »[٣] .

ولم يتورع هؤلاء المؤلفون عن اتهام فقهاء وقضاة وعلماء هذا العصر بشتى التهم ، فشوهوا سمعتهم وسيرتهم لكي يكملوا بذلك تلك الصورة المشوهة التي رسموها للعصر العباسي الأول .

فهذا الأستاذ جاك ـ س ـ ريسلر أستاذ المعهد الإسلامي بباريس يقول[٤] : « كان الخليفة نفسه هو الذي يختار القضاة من بين علماء الشرع أي الفقهاء . ولما كان القضاة طائفة قوية فقد كان بيدهم سلطان ومنزلة رفيعة في آن واحد تمثل الطبقة الدينية ، ولما كانوا نفعيين في

---

(١) المرجع السابق ص ٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢ .

(٣) العصر العباسي الأول ص ٢٠ .

(٤) ص ٧٤ من كتابه (الحضارة العربية) ترجمة غنيم عبدون دار الطباعة الحديثة القاهرة .

معظم الأحوال ، أكياساً بمقدار ما كانوا يحترمون القضاة ، ويوحون بالرهبة أكثر من إيمانهم بالاحترام فقد كانوا يعضدون سلطة الحاكم المطلقة ، لكنهم كانوا يلينون للمؤثرات الخارجية .

وحين يتكلم الدكتور شوقي ضيف عن المائدة العباسية وآدابها ومنادمة الخلفاء وآدابها يتهم العلماء والفقهاء مثل أبي يوسف قاضي القضاة رحمه الله يتهمهم بالتزلف والتبسط للخليفة فيقول : « وكثير من هؤلاء الندماء استطاع أن يعتلي منصب الوزارة بما كان يحسنه من التبسط إلى الخليفة في الحديث في ساعات صفوه وغضبه ، ومن لم يعتل منهم منصب الوزارة سالت عليه الصلات السنية ، ولذلك لا نعجب أن يصبح الحذق بالمنادمة وما تتطلب من كياسة مطمحاً لكثير من العلماء والأدباء ومن اللغويين وكل من يريد الحظوة عند خليفة أو وزير . وتلمع في هذا الجانب أسماء الأصمعي وأبي يوسف منادمي الرشيد ، وثمامة بن أشرس نديم المأمون »[1] .

هذا قليل من كثير ذكرته بإيجاز ، لأبين فيه تلك الصورة المشوهة التي شاعت عن العصر ، في أغلب ما كتب عنه ، إلى درجة أنها أصبحت تعرض في أروقة الجامعات على أنها بديهية متفق عليها لا تقبل الشك ولا الرد .

---

(١) ص ٥٣ من كتابه العصر العباسي الأول .

تحليل الصورة المشوهة ونقدها :

وأنا أريد بدراستي هذه أن أذكر الأسباب التي أدت إلى تكوين هذه الصورة المزيفة للعصر العباسي الأول ، ثم أفند بعض تلك الأباطيل ، وأظهر ذلك الزيف ، وأبطل تلك الاتهامات بذكر الأسباب المكونة للصورة المشوهة ومناقشتها :

أولاً : الاعتماد على مجرد النقل ، والتسليم بصحة الروايات والجمع من غير مناقشة للمجموع .

وابن خلدون يحلل لنا هذا السبب ويناقشه ويبين لنا ما في هذا المسلك من أخطاء فهو يقول[1] : « إن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة والقواعد السياسية ، وطبيعة العمران ، والأحوال في الاجتماع الإنساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ، ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق ، وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً ، لم يعرضوها على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها ، ولا عيروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة

(١) مقدمة ابن خلدون ١ / ٣٦٢ وما بعدها ط ٢ لجنة البيان العربي ١٩٦٥ م تحقيق د . علي عبد الواحد وافي .

في الأخبار ، فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ولاسيا في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات ، إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ، ولابد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد » .

ثم يذكر تحليلاً دقيقاً لبعض تلك الأخبار الكاذبة ، ويرد على تلك المبالغات والأغلوطات التي نقلها بعض الرواة من أمثال معاقرة الخلفاء ـ وخصوصاً الرشيد ـ للخمر ، وما اتهم به القاضي يحي بن أكثم من معاقرة للخمر واشتغال بالغلمان ، ومما علل به بعضهم تنكيل الرشيد بالبرامكة وقصة العباسة أخته في ذلك ، وما ورد أيضاً من حديث الزنبيل الذي تعلق به المأمون وسبب زواجه ببوران بنت الحسن بن سهل .

وأنقل هنا رده على ما اتهم به يحي بن أكثم من معاقرة للخمر وميل إلى الغلمان ليكون مثالاً على تحليله ورده لتلك الأخبار الكاذبة .

فبعد أن يرد على من اتهم الرشيد بالمعاقرة يقول[١] : « ويناسب هذا أو قريب منه ما ينقلونه كافة عن يحي بن أكثم قاضي المأمون وصاحبه وأنه كان يعاقر الخمر وأنه سكر ليلة مع شربه فدفن في الريحان حتى أفاق وينشدون على لسانه :

---

(١) المصدر السابق ١ / ٣٨٢ .

يـــا سيـــــدي وأمير النــــــاس كلهم
قـد جـار في حكمـه من كان يسقيني
إني غفلت عن الســــــــــاقي فصيرني
كما تراني سليب العقـل والـــــدين

وحال ابن أكثم والمأمون في ذلك من حـال الرشيـد وشرابهم إنمـا كان النبيذ ولم يكن محظوراً عندهم . وأما السكر فليس من شـأنهم وصحـابتـه للمـأمون إنمـا كانت خلـة في الـدين . ولقـد ثبت أنـه كان ينـام معـه في البيت . ونقل من فضـائل المـأمون وحسن عشرتـه أنـه انتبـه ذات ليلـة عطشان فقام يتحسس ويتلمس الإنـاء مخـافـة أن يوقـظ يحيى بن أكثم . وثبت أنهما كانا يصليان الصبح جماعة ، فأين هذا من المعاقرة ؟

وأيضاً فإن يحيى بن أكثم كان من علية أهل الحـديث . وقـد أثنى عليـه الإمام أحمد بن حنبل وإسماعيل القاضي ، وخرج عنه الترمذي في كتابـه الجـامـع . وذكر المـزني الحـافـظ أن البخـاري روى عنـه في غير الجـامـع فالقدح فيه قدح في جميعهم .

وكذا ما ينبزه المجان بـالميل إلى الغلمـان بهتـانـاً على الله وفريـة على العلماء ، ويستندون في ذلك إلى أخبار القصـاص الواهيـة التي لعلهـا من افتراء أعدائه ، فإنه كان محـموداً في كماله وخلقه للسلطان ، وكان مقـامـه من العلم والدين منزهاً عن مثل ذلك . ولقد ذكر لابن حنبل ما يرميـه

به الناس ، فقال : سبحان الله ، ومن يقول هذا ؟ وأنكر ذلك إنكاراً شديداً . وأثنى عليه إسماعيل القاضي ، فقيل له : ما كان يقال فيه فقال : معاذ الله أن تزول عدالة مثله بتكذيب باغ وحاسد وقال أيضاً : يحي بن أكثم أبرأ إلى الله من أن يكون فيه شيء مما كان يرمى به من أمر الغلمان ولقد كنت أقف على سرائره فأجده شديد الخوف من الله ، لكنه كانت فيه دعابة وحسن خلق فرمي بما رمي به . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : لا يشتغل بما يحكى عنه لأن أكثرها لا يصح عنه . »

ثانياً : الجهل بالمصادر ، والجهل بمنهج المصنفين فيها واقتطاع الخبر أو جزء منه دون إتمامه ، ودون الرجوع إلى مقدمة الكتاب .

وهذا سبب لصيق بما قبله ، ومتمم له وموضح ، فإن الثقة التي منحها الدارسون ـ خصوصاً أهل عصرنا ـ لبعض المصنفات القديمة وعدم الاطلاع على مقدمة الكتاب التي تحتوي ـ في الغالب ـ على منهج المصنف فيه ، قد أوقع الكثير منهم في الخطأ والخلط لأنهم أخذوا الروايات على أنها حقائق مسلم بها ، وخاصة عند نقلهم عن المؤرخين القدماء ، الذين اشتهروا بالصدق والأمانة ، ولو أنهم رجعوا إلى كلام هؤلاء المؤرخين لعلموا علم اليقين أن تلك الروايات فيها ما هو حق وصحيح وفيها ما هو غير ذلك .

ومما يؤيد ما ذهبت إليه ما يذكره الطبري في مقدمة كتابه « تاريخ الرسل والملوك » يخاطب به من أراد القراءة فيه حيث يقول : « وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه ، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه ، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه ، دونما أدرك بحجج العقول ، وأستنبط بفكر النفوس ، إلا اليسير القليل منه إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين ، وما هو كائن من أنباء الحادثين ، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ، ولم يدرك زمانهم ، إلا بإخبار المخبرين ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس . فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا ، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدي إلينا »[١]

فالطبري يقر بأنه جامع للأخبار غير ممحص ولا مميز بين صحيحها وخطئها ـ إلا في اليسير منها ـ ويحيل التمحيص على القارىء . « وواضح أن الطبري قد التزم أن يؤدي المرويات على نحو ما أديت إليه حتى ولو كان فيها ما يستنكره القارىء أو يستشنعه السامع ، وليس

---

(١) تاريخ الطبري ١ / ٧ و ٨ . دار المعارف بمصر ١٩٦٠م .

يخفى أنه يريد أن يقول إني إنما أحرص على الصحة في النقل .. »[١] ، وشتان بين الصحة في النقل ، والصحة في المنقول .

ونحواً من ذلك يقول ياقوت في معجم البلدان : « .. لقد ذكرت أشياء كثيرة تأباها العقول وتنفر عنها طباع من له محصول . لبعدها عن العادات المألوفة ، وتنافرها عن المشاهدات المعروفة ، وإن كان لا يستعظم شيء مع قدرة الخالق وحيل المخلوق وأنا مرتاب بها ، نافر عنها ، متبرىء إلى قارئها من صحتها ، لأنني كتبتها حرصاً على إحراز الفوائد ، وطلباً لتحصيل القلائد منها والفرائد ، فإن كانت حقاً فقد أخذنا منها بنصيب المصيب ، وإن كانت باطلاً فلها في الحق شرك ونصيب ، لأنني نقلتها كما وجدتها ، فأنا صادق في إيرادها كما أوردتها ، ولتعرف ما قيل في ذلك حقاً كان أو باطلاً ، فإن قائلاً لو قال : سمعت زيداً يكذب ، لأحببت أن تعرف كيفية كذبه ، وها أئمة الحفاظ الذين هم القدوة في كل زمن ، وعليهم الاعتماد في فرائض الشرع والسنن لم يشترط أكثرهم في مسنده وهي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي تبتنى عليها الأحكام ، ويفرق بها بين الحلال والحرام ، إيراد الصحيح دون السقيم ، ونفي المعوج وإثبات المستقيم . ولم يخرجهم ذلك على أن يعدوا في أهل الصدق ، أو يتزحزحوا عن مراتب الأئمة والحق ،

---

(١) صاحب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني الرواية . د . محمد أحمد خلف الله ص ١٠ وما بعدها ط ٣ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٨م .

إنهم أوردوا ما سمعوه كما وعوه . وإنما يسمى الكذب كذباً إذا وضع حديثاً عمن لم يسمع منه ، أو روى عمن لم يرو عنه فإما أن يروي ما سمع كما سمع فهو من الصادقين ، والعهدة على من رواه عنه .. »[١] .

ومن المثالين السابقين يتبين لنا الخطر الكامن في التسليم عند النقل عن هذه الكتب ، ولأن مثل هذه الكتب الأمهات تتكون من مجلدات عديدة وضخمة فإن الدارسين ـ في الغالب ـ يرجعون إلى الأجزاء والصفحات التي يحتاجون إليها فقط في بحثهم عن موضوع معين ، دون الرجوع إلى المقدمة ، أو معرفة منهج المصنف في كتابه .

فإذا كان هذا حال المصنفين الأثبات ، والمؤرخين العظام الثقات ، فكيف بمن دونهم ؟ وكيف بأهل الأهواء والبدع والضلالات ؟ وكيف بأهل المجون والشهوات ؟ لاشك أنهم في أعلى مراتب التزييف والدجل ، إن كانوا معتمدين فيما ذكروا من الدس ، وإلا فهم في أحط مراتب العلم والمعرفة .

فلا يصح أن نصور عصراً من عصور تاريخنا المجيد بنقل ما كتبه أو قاله أولئك الجهال ، ولا أن نتبين روح العصر العباسي ـ مثلاً ـ من كتب المجون والضلال ككتاب الأغاني مثلاً .

---

(١) معجم البلدان ، لياقوت الحموي ١ / ٩ و ١٠ ط ١ مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٣ هـ ـ ١٩٠٦ م .

وإن كثيراً من الباحثين إذا أراد استجلاء صورة واضحة لعصر من العصور هرع إلى تلك الكتب ونقل عنها الغث والثمين في مختلف العلوم والفنون ، في الشعر والنثر ، والتاريخ والاجتماع ، والحضارة والدين ، والتراجم والعلوم ..

ولا أنكر أن كتاب الأغاني فذ في فنه ، ووحيد في جنسه ، إلا أننا يجب أن لا نعتمده في كل ما يذكر ، لأنه لم يؤلف إلا على أنه كتاب للأغاني والألحان والشعر ، ثم زاد فيه مصنفه التراجم والحكايات ، وكثيراً من الأخبار الواهية ، والروايات المزيفة ، والأساطير والخرافات .

إذن على القارىء والباحث عند النقل أن يكون متثبتاً من صحة الرواية وذا نظر سديد يميز به الروايات ، وصاحب خبرة وعلم بالمصنفات والمصنفين الذين يأخذ عنهم ، وبمنهجهم في مصنفاتهم وما قصدوا إليه من خلال رواية تلك الأخبار ، وإلا فسيكون الخطأ والزلل والضلال حليفه ، وسيغرق بحثه ومؤلفاته بأخبار وروايات خاطئة يختلط فيها الحق بالباطل ، والهدى بالضلال ، والصدق بالكذب .

ثالثاً : والسبب الثالث في شيوع تلك الصورة المشوهة هو :

ميول المدونين والرواة والمصنفين إلى جمع المعلومات وتصنيف الكتب في باب معين ، كالزهد أو المجون أو اللغة أو غير ذلك ، وربما جمعوا تلك الأبواب في مصنف واحد فإذا ما تناولها أهل اللذات المحرمة ، والانهماك

في المجون ، فحتماً سيحفلون بما يشبع رغباتهم ، ويسد نهمهم ، وينسجم مع ميلهم ، ويتركون ما فيها من جوانب أخرى لا تهمهم ، هذا إذا لم يزيدوا عليها من مغامراتهم و « بطولاتهم » وعن ذلك يقول ابن خلدون : « وأمثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرخين معروفة ، إنما يبعث على وضعها والحديث بها الانهماك في اللذات المحرمة ، وهتك قناع المُخْدَرات ، ويتعللون بالتأسي بالقوم فيما يأتونه من طاعة لذاتهم .. »[١] .

وهذه الرغبات والميول ، تجعل كل واحد يصنف ويؤلف فيما يرغب فيه ، ويميل إليه ، فإن كان زاهداً جمع أخبار الزهد والزهاد والصالحين والعباد وكأننا لا نرى من خلال ما جمعه غير الزهد والصلاح ، وإن كان فقيهاً ملأ صفحاته بأخبار الفقهاء ومسائل الفقه في جده وهزله ، حتى الفكاهات والملح يجعلها مسائل فقهية ، وهكذا المحدث يهتم بأخبار الحديث ورواته ورجاله وكتبه وكذلك المفسر ، ولا غرابة في أن يفعل غيرهم من أهل البدع والأهواء والضلال وأصحاب المجون والخلعاء ، والعابثون ، كل يصبغ العصر بصبغته ، ويصوره بالصورة التي يريدها[٢] .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١ / ٣٨٥ .

(٢) ومن أمثلة تلك الكتب : الزهد والرقائق لعبد الله بن المبارك . وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني . والزهد للمعافي ابن عمران الموصلي =

ولما ابتعد الناس عن الإسلام ، وانحرفوا عن جادة الدين الصحيحة ، وعن الصراط المستقيم ، تناقلوا في مجالسهم تلك الكتب والروايات والقصص التي تصور ما يناسبهم من اللهو والعبث ، واهتموا بتلك الأخبار فجمعوها ورتبوها وصنفوا في مختلف ألوان اللهو كتباً للتسلية والأنس جمعوا فيها الأخبار الغريبة ، والحكايات الطريفة ، والقصص الماجنة ، والأدب المكشوف ، والغزل الخليع .

وما أن جاء عصرنا - وهو أبعد ما يكون عن روح الإسلام - حتى شاعت فيه التصورات المستوردة عن الإسلام ودولته ، حتى إن كثيراً من أبنائه ، نصبوا أنفسهم محامين يدافعون عن تلك النظريات ، التي خلطت السم بالدسم ، فشوهت صورة العصر ، وذلك لأنهم تبنوا هذه الأفكار والنظريات التي وضعها أعداؤنا واتخذوها على أنها حقائق مسلمة لا يمكن ردها أو مناقشتها خصوصاً ما ورد منها عن أولئك المستشرقين الذين اتخذهم أهل عصرنا أساتذة ، وشاع عنهم - زوراً - أنهم موضوعيون

= (مخطوط) والزهد للإمام أحمد بن حنبل . والجواهر المضيئة في طبقات الحنفية لابن أبي الرفا . ومناقب الإمام أحمد بن حنبل لعبد الرحمن بن الجوزي . وعالمات بغداديات في العصر العباسي للدكتور ناجي معروف . والقصاص لابن الجوزي . وأخبار النساء المنسوب لابن قيم الجوزية . وأخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي . وأخبار الحمقى والمغفلين له أيضاً . وشعراء النصرانية للويس شيخو . والديارات النصرانية في الإسلام لحبيب زياد وغيرها .

في دراساتهم ، ويعلم الله أنهم والموضوعية على طرفي نقيض[١] ، لتصوراتهم الخاطئة عن دولة الإسلام وروحه .

وبالرغم مما شاع في وقتنا الحاضر من صور مشوهة عن العصر العباسي الأول ، فإنه بدأت بوادر خيرة ، ونوايا طيبة ، ونظرات موضوعية تظهر للوجود ، وهي تبذل الجهود لكي تصحح تلك النظرة عن ذلك العصر الزاهر ، متمثلة في بحوث ودراسات تخصصت في تناول جزئية أو لون معين ، من ذلك على سبيل المثال :

« شعر الزهد في العصر العباسي الأول » لشوقي رياض أحمد ، وهو رسالة دكتوراة ، تقدم بها إلى جامعة القاهرة سنة ١٩٧٢ م ، و « الشعر الصوفي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة » للأستاذ إبراهيم بسيوني وهو رسالة ماجستير ، تقدم بها إلى جامعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م ، و « شعر الفقهاء نشأته وتطوره حتى نهاية العصر العباسي الأول » لحسني مصطفى ناعسة وهو رسالة ماجستير ، تقدم بها إلى جامعة القاهرة سنة ١٩٧٥ م ،

---

(١) أثبت هذا الدكتور عرفان عبد الحميد ـ وهو دكتور في الفلسفة من جامعة كمبردج ـ في بحثه « المستشرقون والإسلام » مطبعة الإرشاد ـ بغداد ١٩٦٩ ويراجع أيضاً « انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث » لمالك بن نبي مطبعة دارالبيان بمصر . وكتاب « في جولة المستشرقين » للأستاذعبد الخالق سيد أبو رابية من رسائل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة طبع مطابع الأهرام التجارية .

و « التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول » لمجاهد مصطفى بهجت ، وهو رسالة دكتوراة ، تقدم بها إلى جامعة الأزهر سنة ١٩٧٥ م .. ، بالإضافة إلى كتب كثيرة ترجمت للأعيان والأعلام من أهل الصلاح والخير ، ممن اتخذهم الناس أُسوة حسنة ، أمثال المذاهب الأربعة ، والزهاد والعباد وغيرها التي تناولت تيارات فكرية أو مذهبية أو عقائدية .

وكل هذا يثبت ما ذهبت إليه ، من أن الرواة والمصنفين قد اختلفوا في جمع الرواية والتصنيف كل حسب رغبته وميله وهواه .

رابعاً : التعصب لمذهب أو لجنس أو لملة أو لمدينة أو لدين أو غير ذلك .

وقد أثر هذا التعصب تأثيراً بالغاً في حركة وضع الأخبار ، وتزييف الروايات ، والطعن في الجانب الآخر ومحاولة تشويهه ، والحط من منزلته ووصفه بالدناءة والانحطاط .

وإذا كان هؤلاء الوضاع المتعصبون لا يتورعون عن الوضع في الحديث الشريف[1] ، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) انظر بحوث في تاريخ السنة المشرفة د . أكرم ضياء العمري ص ٢٤ مطبعة الإرشاد بغداد ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م حيث قال فيه : « ولعبت العصبية دوراً في ظهور الأحاديث الموضوعة سواء أكانت عصبية للمكان الذي يسكنه الوضاعون =

وهو كذب جزاؤه النار[١] فإن حركة الوضع في غير ذلك أشد وأقوى .

ولـذا ورد الوضـع في الحـديث الشريف حتى من بعض أهـل الـدين والصلاح ـ بحجة الدفاع عن الإسلام أو الترغيب فيه[٢] ـ فإننـا نستطيع أن نتبين جرأة الآخرين من أهل العصبيـات والأهواء ، على الـوضـع في غير الحديث ، وعلى هـذا الأسـاس نتمكن من تفسير التشويـه الـذي لحق العرب مثلاً من قبل الشعوبية ، والتشويه الذي لحق العبـاسيين من قبل الشيعـة وغيرهم والـذي لحق الأمويين من قبل العلـويين ، والـذي لحـق الأمين من قبـل أتبـاع المـأمـون ، فكل يحـاول ـ مـا أمكنـه ـ أن يحرك الأحـابيل ، ويفتعـل القصص ، ويـؤلف الحكايـات التي تثلب عـدوه ، وتضع من قيمته ، ولما كانوا يعدون التدين مكرمـة ، ويعـدون من أسمى الفضائل التخلق بأخلاق الإسلام ، والاشتغـال بـالعلم والعمل الصـالح ، والابتعاد عن اللهو والعبث . لـذلـك كانوا إذا أرادوا أن يحطوا شخصـاً ، وصفوه بالتحلل من الدين والأخلاق ، ورموه باللهو والمجون والمعـاقرة ، ووسموه بالعبث بالغلمـان فضلاً عن الجواري طوال الليـالي ونصيبـاً وافراً من النهار .

= أم للجنس الذي ينتمون إليه أم للإمام الذي يتبعون مذهبه الفقهي .. » .

(١) حيث قـال عليـه الصلاة والسـلام : « من كـذب علي متعمـداً فليتبوأ مقعـده من النار » البخاري : الصحيح ١ /٣٧ .

(٢) بحوث في تاريخ السـنة المشرفة ـ د . أكـرم ضياء العمري ص ٣٧ وما بعدها .

ومن ذلك مثلاً ما نراه في الشعر في ذلك العصر ، حيث وجدنا « فريقين من الشعراء : فريقاً علوياً وآخر عباسياً ، وكل يحتج لحزبه بهذا الفن معتمداً في هذا الاحتجاج على أصل ديني أو سياسي أو اجتماعي أو غير ذلك مما يبرر موقفه ويكسب محبة فريقه ، فمن العلويين السيد الحميري .. من مخضرمي الدولتين شيعياً غالياً كثير الشعر جيده ... ودعبل الخزاعي ـ الذي ـ كان يحاد العباسيين ، ويهجو خلفاءهم هجاء مقذعاً مراً لم يسلم من لسانه أحد من الخلفاء ولا الوزراء ولا الولاة ولا ذو نباهة ، هجا الرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ومدح العلويين بقصائد كثيرة .. وديك الجن الحمصي .. والعكوك من أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد .. »[1] .

ولما كان الخلفاء في منعة وقوة ، ولم يتمكن أحد من أعدائهم أن ينال منهم علناً ، عمد أعداؤهم إلى ما يسمى « بحرب الشائعات » في السر والخفاء ، ـ ويصور لنا ذلك ما قاله قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمداني المتوفى سنة ٤١٥ هـ : انظر إلى الشعر أو الذين هجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم ، ومن الكتب التي وضعها الملاحدة وطبقات الزنادقة ... فإنهم وضعوها في أيام بني العباس ، وفي وسط الإسلام وسلطانه ، والمسلمون أكثر مما كانوا إذ ذاك ، وأشد ما

---

(١) العامل السياسي في أدب العصر العباسي لأحمد الشايب ص ٦٢٥ مطبعة الاعتماد بمصر ١٩٥٠ م .

كانوا ، ولهم القهر والغلبة والعزة والذين وضعوا هذه الكتب أذل ما كانوا ، وإنما كان الواحد بعد الواحد من هؤلاء يضع كتابه خفياً وهو خائف يترقب ذلك عن أهله وولده ، ولا يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد ، ممن هو في مثل حاله من الخوف والذل والقهر ، ثم ينتشر ذلك في أدنى مدة ويظهر على أن يباع في أسواق المسلمين ... وعلى هذا الأساس يمكن أن نفسر الروايات والأخبار والمصنفات الكثيرة ، التي أظهرت الخلفاء بمظهر الفساد والترف ، واللهو والمجون ، ويوضح ذلك أتم توضيح أن أغلب تلك الروايات قد ورد مقطوعاً ، وبصيغ الشك والضعف مثل روي وقيل وحكي ... والراوي والقائل « من القصاصين الذين يطرفون العامة بغرائبهم ، أو من المعارضين الذين يبتغون الانتقام لحزبهم المهزوم »[١] .

والقصة التالية التي يرويها لنا يوسف حسين بكار عن الجاحظ تبين أثر التعصب والميل والهوى في تشويه الأخبار .. قال الأستاذ يوسف حسين بكار[٢] : « يقول صاحب التاج : (قلت لإسحاق بن إبراهيم : هل كان الخلفاء من بني أمية يظهرون للندماء والمغنين قال : أما

---

(١) من مقال للمرحوم د . مهدي صالح السامراني . في مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد ـ العدد الرابع سنة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م ص ٢٠٨ وما بعدها .

(٢) في كتابه « اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري » ص ٣٢ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ م .

معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن محمد ، فكان بينهم وبين الندماء ستارة ، وكان لا يظهر أحد من الندماء على ما يفعله الخليفة إذا طرب للمغني والتذّ حتى ينقلب ويمشي ويحرك كتفيه ويرقص ويتجرد حيث لا يراه إلا خواص جواريه ، إلا أنه كان إذا ارتفع من خلف الستارة صوت أو نعير طرب ، أو رقص ، أو حركة بزفير تجاوز المقدار ، قال صاحب الستارة : حسبك يا جارية كفى ، انتهى ، أقصري ، يوهم الندماء أن الفاعل لذلك بعض الجواري . فأما الباقين من خلفاء بني أمية فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا ويتجردوا ويحضروا عراة بحضرة الندماء والمغنين ، وعلى ذلك لم يكن أحد منهم في مثل حال يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد في المجون والرفث بحضرة الندماء والتجرد ، ما يباليان ما صنعا ،[1] يتضح من النص السابق ـ والكلام للأستاذ بكار ـ أن الخلفاء المتقدمين كانوا يطربون ويستمعون إلى الندماء من وراء ستار ما لبث أن انزاح على عهد أحفادهم اللهم إلا عمر بن عبد العزيز الذي كان ظاهرة غريبة في كل شيء ... » .

فهذا خبر يتضح فيه مدى التشويه والتزييف واتباع الهوى والتعصب ، فليس من المعقول أن يحضر أي إنسان أمام ندمائه متجرداً

---

(١) التاج في أخلاق الملوك ص ٣٢ تحقيق أحمد زكي باشا . المطبعة الأميرية بالقاهرة ط ١ سنة ١٩١٤ م .

عـاريـاً فضلاً عن الخليفـة ، إلا أنـه التعصب المقيت الـذي جعل الراوي يـدس هـذه الـدسيسـة التي تلقفهـا أهل الأهواء ، وأصحـاب الأغراض ، فنقلوها وأشاعوها إرضاءً لأهوائهم .

خامساً : التعميم أو الشيوع قياساً على حادثة واحدة أو خبر منقطع ..

فقد يرد خبر عن أحـد الرواة الأوائل ـ وعمل الراوي هو النقل ليس غير ـ فيتنـاقلـه عنـه المـدونـون والمصنفـون الـذين كانـوا يجمعـون كل الروايات التي تردهم ، وعندئذ يأخذه الجميع عن ذلك الراوي ، وعنـدمـا يرى البـاحثون كثرة الكتب التي نقلت ذلـك الخبر يعتقـدون بصحتـه ، خصوصاً تلك الكتب التي أسقطت أسانيـد الروايـات ، وأهملت نسبتهـا للتسهيل وللاختصار ، وهذا يعلل انتشار وشيوع كثير من أخبار الأفراد الكاذبة ، بالرغم مما فيها من وهم وخرافة

ومن أمثلـة ذلـك ، مـا تورط بنقلـه جرجي زيـدان عن المسعـودي ورتب عليه نتائج ، وأقام عليه دراسة فيقول خلال حديثـه عن الحـالـة الاجتماعية وعن الطعام بالذات : « وتفنن الطهاة في اصطناع الأطعمـة التي يظنون فيها الغذاء الكثير أو النفع الصحي وربمـا فعل بعضهم ذلـك مغـالاة في الاحتفـاء ، كما فعـل إبراهيم بن المهـدي في زيـارة زاره فيهـا الرشيد ، فاصطنع له أطعمة بينها جام سمـك مقطع فـاستصغر قطعـه ، فسأله الرشيد عن ذلك فقال : « يـا أمير المؤمنين هـذه ألسنـة السمـك »

وقدرت نفقة ما في ذلك الجام بألف درهم ـ المسعودي جـ٢/١٩٩[١].

وما علمنا للسمك ألسنة !!.

سادساً : قياس عصر متأخر على عصر متقدم ..

فقد ترد الروايات والأخبار عن عصر متأخر ـ مثلاً عصر البويهيين ـ خلال الكلام عن العصر العباسي الأول المتقدم ، وذلك لأن المصنف المتأخر ذكر الخبر على سبيل التعميم ، وليس على سبيل التخصيص لعصر معين ، وعندما يأتي الباحث في زماننا هذا ، يأخذ الخبر ـ خصوصاً إذا نقله من الثقات ـ ويقيس عليه أو قد يستنتج منه شيئاً معيناً ، وعندئذ يكون قياسه ـ مع الفارق ـ قياساً غير صحيح ، ويكون استنتاجه غير موفق . من مثل ذلك ما ذكره الأستاذ فائق نجم مصلح في بحثه للماجستير « طبقات المجتمع العراقي في العصر العباسي الأول »[٢] عن تقبيل يد الخليفة قائلاً[٣] : « أما قضية تقبيل يد الخليفة أو قدمه أو الأرض التي أمامه فليس كل الخلفاء يحبذون ذلك بل أن بعضهم يمجها ويقول إنها عادات أجنبية تحط من قيمة الإنسان ، وكان الخليفة المأمون يكره تقبيل اليد ولم يحبذ ذلك ، وقد استأذن شخص مرة في تقبيل يده

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ـ جرجي زيدان ٥ / ١٢٢ ـ دار الهلال سنة ١٩١٤ م راجعه د . حسين مؤنس .

(٢) تقدم به إلى جامعة عين شمس سنة ١٩٧١ م .

(٣) ص ٦ .

فلم يَقْبَل وقـال : (إن القبلـة من المؤمن ذلـة ومن الـذمي خـديعـة) ـ العقد الفريد ١ / ٢٥١ ـ وفي رواية أخرى أعطى الخليفة المهدي للشـاعر أبا دلامة كل ما طلبه إلا تقبيل يده (وقـال أمـا هـذه فـدعها) العقـد الفريد ١ / ١٨٠ ـ « ثم يتكلم صاحب البحث بعـد ذلـك عن القـائـد أو غيره من الكبراء إذا أراد توديع الخليفة مـاذا يفعل ؟ فيقول[١] : « وإذا أراد قائد أو شخصية كبيرة أن يودع الخليفـة فـإنـه يـدخل على الخليفـة ويقبل يده ورجله والأرض التي أمامه (وهـذا مـاقـام بـه مؤنس المظفر التركي حينما أرسل على رأس جيش لمحـاربـة الروم سنـة ٣١٤ هـ من قبل المقتدر ـ ابن الجوزي ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٦ /٢٠٦ ـ) .. »

فالباحث هنا يتحدث عن العصر العباسي الأول ، ولكنه يقرر عليه مـا لم يكن فيـه حيث قـاسـه على العصر المتـأخر عنـه بقرن من الزمـان تقريباً .

سابعاً : اختلاف التصور بين العصور لمفهوم معين ..

فقد يكون اختلاف التصور بين عصرين لمفهوم معين سبباً في شيوع الخطأ .. فمثلاً في عصرنا هذا : تصورنا وفهمنـا لمن يشرب ، أنـه يشرب الخمر المسكر وأنه محرم ، ولم يشع عندنا أن الأشربة أنواع منها مـا حرمـه الفقهـاء بـالإجمـاع ومنهـا مـا أحلـه الفقهـاء بـالإجمـاع ومنهـا مـا فيــه

---

(١) السابق ص ٦ أيضاً .

الاختلاف[١] حتى أن جرجي زيدان يتهم الفقهاء الذين يفرقون بين الخمر والنبيذ ـ الذي منه المحلل لا المحرم ـ بأنهم متملقون فيقول : « فعمد بعض المتملقين من الفقهاء ورجال الدين إلى انتحال المسوغات لشربها فأخذوا يبحثون في الفرق بين أنواعها وميزوا بين المحلل والمحرم منها ، فأجمعوا على تحريم الخمر واختلفوا في تحريم النبيذ وفي أي أنواعه حلال وأيها حرام ، ويقال بالإجمال : إن أهل العراق كانوا يستحلون النبيذ وأهل الحجاز يحرمونه »[٢] .

وأنا لا أريد أن أناقش ما في هذا الكلام من المغالطة والتشنيع على الفقهاء ، وإنما أريد أن أُثبت ما وصل إليه سوء الفهم والاختلاف في التصور بين عصرنا الحاضر والعصور الأولى .

فإذا ما وردنا مثلاً عن الجاحظ قوله : « وكان الرشيد يشرب في كل جمعة مرتين . وربما قدم أيامه وأخرها . على أنه لم يره أحد قط يشرب ظاهراً . إلا أنه كان يقعد هذين اليومين لندمائه[٣] » ، إذا ما سمعنا

---

(١) التحريم والتحليل بيد الله تعالى فهو المشرع ـ والذي أقصده هنا أن الفقهاء ذكروا الحكم الشرعي للشراب المحرم والمحلل وما فيه الاختلاف .

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي ـ جرجي زيدان ٥ / ١٤٤ مطبعة الهلال سنة ١٩٠٤ .

(٣) التاج في أخلاق الملوك ـ للجاحظ ص ١٥٣ ـ تحقيق الأستاذ أحمد زكي باشا ـ طبعة صورتها المثنى ببغداد عن الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٤ م .

هذا تبادر إلى أذهاننا وتصورنا أنه شرب الخمر ، وذلك خلاف الحق والواقع الذي يكذبه الجاحظ نفسه في نفس هذا الكتاب حيث يقول : « وكان الرشيد في أخلاق أبي جعفر المنصور ، يمتثلها كلها إلا في العطايا والصلات والخلع . فإنه كان يقفو فعل أبي العباس والمهدي . ومن خبرك أنه رآه قط وهو يشرب إلا الماء ، فكذّبه . وكان لا يحضر شربه إلا خاص جواريه »(١) .

فإذا كانوا ـ حسب تصورهم ـ يسمون جلوس الخليفة مع خاص جواريه مجلس شرب ومنادمة ، مع أنه يشرب الماء ويجلس مع ملك يمينه .

وفي الحديث عن الجواري مثال آخر للاختلاف في التصور بيننا وبينهم فقد وصم الخلفاء بأنهم كانوا يتخذون العشيقات والخليلات من الجواري ، وراحوا يتغزلون بهن شعراً ونثراً ، ففهومنا وتصورنا لهذا الغزل ولأولئك الجواري أوقعنا في هذا الوهم ، حيث اعتبرنا ذلك نقيصة في الخلفاء ، ولو أننا كنا نملك تصور ذلك العصر ، ولو أننا عرفنا وتصورنا حياة الجواري ، والحلال منهن والحرام ، وما هي حقوق السيد عليهن وحقوقهن على أسيادهن ، ما وقعنا في هذا الخطأ .

فالجارية ملك يمين يملك منها سيدها حق التمتع بها وحق الاستخدام

---

(١) السابق ص ٣٧ .

كما يقول ابن قدامة (ت ٦٣٠ هـ) . « إن السيد يملك من أمَتِه منفعتين منفعة الاستخدام والاستمتاع »[١] . ولذلك ليس على السيد أن يعدل بين إمائه كما يعدل بين نسائه : « ولا قسم على الرجل في ملك يمينه فمن كان له نساء فله الدخول على الإماء كيف شاء والاستمتاع بهن إن شاء كالنساء ، وإن شاء أقل ، وإن شاء أكثر ، وإن شاء ساوى بين الإماء وإن شاء فضل ، وإن شاء استمتع من بعضهن دون بعض بدليل قول الله تعالى : ﴿ **فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم** ﴾ ،[٢] وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم مارية القبطية وريحانة فلم يكن يقسم لهما »[٣] .

فإذا كان السيد يملك من الجارية كل ذلك فمن الأولى أنه يملك التغزل بها واللهو معها ، وهذا من حقه الشرعي .

ثامناً : دور المستشرقين في تكوين الصورة الشوهاء :

تركزت الأسباب السابقة التي سقتها وتجمعت في دراسات المستشرقين ونظرتهم لحضارتنا ، فنجم عن ذلك هذا السبب الخطير

---

(١) المغني ـ لعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ت ٦٣٠ هـ جـ ٧ / ٤٦٧ دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

(٢) النساء آية : ٣ .

(٣) المغني السابق ٨ / ١٥٠ .

الذي أختم به ذكر الأسباب التي كونت الصورة المشوهة للعصر العباسي الأول ولخلفائه .

فإذا فتشنا في كتب المستشرقين التي تبحث في العصر العباسي الأول وجدناها تعطي أبشع صورة لذلك العصر ، بل إن أغلب التشويه الذي نراه عند الباحثين العرب والمسلمين مقتبس عنهم ، وماهو إلا ترديد ونشر ونقل لما لفَّقه أولئك المستشرقون ، ذلك لأن ـ أصحابنا ـ تأثروا بآراء المستشرقين وتتلمذوا لهم ولمصادرهم وكتبهم ومناهجهم ، وصدقوا ما شاع من موضوعية المستشرقين .

وقد دخل النقص والخطأ على تلك الدراسات الغربية من عدة وجوه منها :

أولاً : الاستجابة الناقصة للحادثة التاريخية وتفسيرها . وعن ذلك يحدثنا الأستاذ سيد قطب ويقرر على الإنسان الذي يريد فهم حادثة أو تفسيرها « أن يفتح روحه وفكره وحسه للحادثة أو يستجيب لوقوعها في مداركه ولا يرفض شيئاً من استجاباته لها إلا بعد تحرج وتمحيص ونقد ، فأما إذا كان يتلقاها بادىء ذي بدء وهو معطل الروح أو الفكر أو الحس ـ عن عمد أو غير عمد ـ فإن هذا التعطيل المتعمد أو غير المتعمد ، يحرمه استجابة معينة للحادثة التاريخية هذه الاستجابة الناقصة هي أول ظاهرة تتسم بها البحوث الغربية عن الموضوعات

الإسلامية ، ذلك أن هناك عنصراً ينقص الطبيعة الغربية ـ بصفة عامة ـ لإدراك الحياة الشرقية بصفة عامة والحياة الإسلامية على وجه الخصوص .. عنصر الروحية الغيبية ـ وبخاصة في العصور الحديثة بعد غلبة النظريات المادية ، والطريقة التجريبية على وجه أخص ـ وكلما كانت هذه الموضوعات الإسلامية ذات صلة وثيقة بالفترة الأولى من حياة الإسلام كان نقص الاستجابة إليها أكبر في العقلية الغربية الحديثة ... هذا النقص يعد عيباً في منهج العمل التاريخي ذاته وليس مجرد خطأ جزئي في تفسير حادثة أو تصوير حالة . ومن ثم فالمنهج الأوربي في البحث يسبب تعطيل أحد عناصر الاستجابة سواء كان ذلك ناشئاً عن الطبيعة الغربية ذاتها وملابسات حياتها البيئية والتاريخية ، أو ناشئاً عن تعمد المؤرخ الأوربي تعطيل هذا العصر ، استجابة لمنهج معين في الدراسة ، هذا المنهج غير صالح لتناول الحياة الإسلامية بل لتناول الحياة الشرقية على وجه العموم . ولكن عدم الصلاحية يتجلى في جانب الدراسات الإسلامية أوضح وأقوى »[١] .

ومن هنا ندرك الخطأ الذي وقع فيه الأستاذ ريسلر عند تفسيره للفتوحات حيث يقول : « إذا كانت هذه الغزوات الحربية قد استجابت للغرائز العريقة في القدم لرجال تعودوا أن يقاتل بعضهم بعضاً وإذا

---

(١) في التاريخ فكرة ومنهاج ـ سيد قطب ص ٣٩ ، ٤٠ ـ دار الشروق بيروت ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

كان هؤلاء الرجال قد كفوا عن القيام بهذه اللعبة على أرضهم الخاصة ، فإن هذا يفسر لنا أسباب انتشار فتوحاتهم كما يبرر كذلك وفرة هجماتهم وعنفها .. »[١] ، وهذا ينافي واقع الفتوحات التي اشتهرت بسموها ورفعتها وغايتها النبيلة ، فما انطلقت تلك الفتوحات إلا تنفيذاً لغرض الجهاد ، وتوطيداً للدعوة إلى الإسلام ، وأما الاستجابة للغرائز وتنفيذ الرغبات والشهوات فأمور حاربها الإسلام وأمر بكبح جماحها .

ثانياً : ومما أدخل النقص في الدراسات الغربية تلك النظرة إلى الأحداث والوقائع من زاوية رؤية معينة ، صبغوا ولونوا بها تاريخنا وحضارتنا وعن ذلك يقول الأستاذ سيد قطب : « إنه لا يخفى أن كل امرىء يختلف شكله باختلاف زاوية الرؤية . وكذلك الشأن في الأحداث والوقائع ، والأوربي بطبيعته ميال إلى اعتبار أوربا هي محور العالم ، فهي نقطة الرصد في نظره ، ومن هذه الزاوية ينظر إلى الحياة والناس والأحداث ومن هنا تتخذ في نظره أشكالاً معينة ليس من يملك الجزم بأنها أصح الأشكال ، وهو يدركها في هذه الأوضاع ويفسرها ويحكم عليها كما يراها . وإذا كان بديهياً أن أوربا لم تكن هي محور العالم في كل عصور التاريخ ، وكان الأوربي لا يملك اليوم أن يتخلص من وهم وضعها الحاضر حين ينظر إلى الماضي .. أدركنا مدى انحراف

---

(١) في كتابه الحضارة العربية ص ٦٨ الدار المصرية للتأليف والترجمة .

الزاويـة التي ينظر بها الأوربي للحيـاة الإسلاميـة التـاريخيـة ، ومـدى أخطاء الرؤية التي يضطر إليها اضطراراً ومـدى أخطـاء التفسير والحكم الناشئة من هذه الرؤية المعينة »[١] .

فالأوربي مثلاً ينظر إلى الفتـاة الإسلاميـة بنفس نظرتـه إلى الفتـاة الأوربية فيقول أحدهم عن تعليم البنات المسلمات : « يقوم تعليم البنـات على تلقينهن تربية دينية قويمة ، وعلى تعويـدهن الصلاة ، وجعلهن في وقت مبكر صالحات للأعمال المنزلية ، وبعد سنوات أيضاً ، يعلمن قرض الشعر ، والفنون الزخرفية والموسيقى والرقص في المدارس المخصصة لذوي اليسـار في المجتمع الإسلامي .. »[٢] ، فكمـا أن الفتـاة الأوربيـة تتعلم الرقص والموسيقى ـ ولا يثلب ذلـك فيهـا ـ فكـذلـك الفتـاة المسلمـة في نظره ، بـالرغم من الخلاف الكبير بين الحـالتين : فـالرقص والموسيقى محرمان في الإسلام ويثلبان في شرف الفتاة المسلمة .

ثـالثـاً : التعمـد في تشـويـه الأخبـار ، وافتعـال الأكاذيب ، ووضع الافتراءات ومسخ التاريخ والحضارة الإسلاميـة مسخـاً ، وهـذا التعمـد بسبب العـداء المـوجـود بين الصليبيـة والإسـلام ، والصراع بين الاستعمار والشرق وبسبب نوايا الاستعمار الخبيثة وأطماعه ولأن هـذه الطريقـة في

---

(١) في التاريخ فكرة ومنهاج ـ سيد قطب ص ٤٠ ، ٤١ .

(٢) الحضارة العربية ـ جاك . س . ريسلر ص ٥٤ .

الدراسة ترسخ في أذهان الجيل المعاصر أنه ليس له أمجاد ، وليس له تاريخ شريف ، وأنها تساعد على نشأة جيل لا يكن لأُمته سوى البغض والاحتقار . ولاشك أن مثل هذا الجيل يملك الاستعداد التام لتغريب شخصيته »[١] .

وهذا ماحصل فعلاً لأننا نحن ـ الأمة الإسلامية ـ إنما ننظر الآن إلى أنفسنا وإلى سوانا بعدسة صنعتها أيد أجنبية عنا ، أجنبية عن عقيدتنا وتاريخنا ، أجنبية عن مشاعرنا وإدراكنا ، أجنبية عن فهمنا للأمور وإحساسنا بالحياة وتقديرنا للأشياء ثم هي بعد ذلك كله ـ مغرضة في الغالب ـ تبغي لنا الشر لا الخير لأن مطامحها ومطامعها ومصالحها الخاصة وأهدافها القومية ، كلها تدفع بها دفعاً لأن تبغي لنا الشر ، لأن خيرنا لا يتفق مع أطماعها ، ولأن مصالحنا تعطل مصالحها .. ـ ولذا فقد أصبحنا ـ ندرس في مدارسنا ومعاهدنا على وجه الخصوص تاريخاً اسلامياً مشوهاً وتاريخاً أوربياً مضخماً ، لا عن مجرد خطأ غير مقصود ولكن عن نية مبيتة من الاستعمار الغربي الذي يهمه ألا نجد في تاريخنا ما نعتز به وأن نرى أوربا على العكس هي صاحبة الدور الأول في التاريخ الإنساني فإذا يئسنا من ماضينا واستعرضنا دورنا في حياة البشرية وامتلأت نفوسنا مع ذلك إعجاباً بالدور الذي قامت به أوربا

---

(١) مقال المرحوم الدكتور مهدي صالح السامرائي السابق الذكر .

وإكباراً للرجل الأبيض .. سهل قيادنا على الاستعمار ، وتطامنت كبرياؤنا القومية ، وذلت رقابنا للمستعمرين .. »[١] .

وما أكثر الحوادث المفتعلة ، والحقائق المزيفة ، والأخبار الكاذبة الموضوعة التي نجدها في كتب المستشرقين التي لا تحصى ، وأضرب لذلك مثالاً من كتاب « الحضارة العربية » تأليف جاك ، س . ريسلر حيث يقول تحت عنوان (البغاء) : « الدين من حيث المبدأ يحرم البغاء ، لكن الدولة كانت تأذن به وتنظر إليه على أنه مصدر للدخل .. »[٢] ، فهو لم يشر إلى المصدر الذي أخذ عنه هذا الخبر ، وهذا يثبت الوضع والدس لأنه كان يتكلم عن الدولة الإسلامية في القرون الأولى ، وحالها معلوم ولم يقل أحد بوجود مثل هذا ، بل إن الحدود بقيت مطبقة إلى قرننا الحاضر ، فكيف تبيح تلك الدولة البغاء بالحجة الواهية التي ذكرها ، ومع الأسف الشديد وبالرغم من كل هذا يقول المترجم في تقديمه الكتاب : « ولا ريب أن المؤلف قد أنصف الحضارة العربية وأبرز مكانتها ودورها الكبير في تاريخ الإنسانية ، وكيف تأثرت شتى الحضارات بها نظراً لأصالتها وعمقها وشمولها وسعة آفاقها الرحبة ، وذلك كله بطريقة موضوعية ، وتحليل دقيق ، وتركيز رائع على الجوانب

---

(١) في التاريخ فكرة ومنهاج ـ سيد قطب ص ٥٦ ـ ٥٨ .

(٢) الحضارة العربية ص ٦٠ .

المضيئة فيها .. »[١] .

وهكـذا نرى البـلاء الـذي حـل بـأهـل الإسـلام متمثـلاً بـالاقتـداء بالغربيين والثقة المتناهيـة بهم ، ومـدحهم وإطرائهم حتى في المواطن التي يستحقون بها كل الذم .

---

(١) الحضارة العربية جاك . س . ريسلر ـ المقدمة ص ٢ .

تفنيد الأباطيل ودحضها

من كل ما تقدم يتبين لنا صدق ما ذهبنا إليه من أن الصورة الشائعة عن العصر العباسي الأول وعن خلفائه هي صورة مشوهة صنعتها هذه الأسباب المقصودة وغير المقصودة التي ذكرتها فيما سبق .

على أن كل سبب من الأسباب المتقدمة يكفي وحده أن يشوه تراثنا ، وينسف قيمه ، ويطمس معالمه ، ويهدم كل ما فيه من جوانب مضيئة فكيف بها مجتمعة متظافرة ؟ .

هذا ولكي يكتمل الموضوع ، لابد من إتمام الحجة والبرهان ، وذلك بتفنيد الأكاذيب والأباطيل التي لفقت على ذلك العصر الزاهر ، وعلى خلفائه الأفاضل . ولو فصلت القول في ذلك لما وسعني المجال ، لذا أكتفي بضرب مثالين أوضح فيهما الكذب والدس والخطأ الذي افتعله أو تغافل عنه الباحثون .

المثال الأول وتفنيده :

شاع عن مجتمع العصر العباسي الأول أنه مجتمع طبقي ، ويحلو للباحثين هنا أن يقسموه إلى طبقتين أو ثلاث أو أكثر ، كل حسب مزاجه ، أو حسب أستاذه من المستشرقين وغيرهم .

فمثلاً يقسمه صاحب رسالة « المجتمع العراقي في العصر العباسي الأول » إلى قسمين الأول سماه مجتمع الخاصة وهم : الوزراء والكتاب والقضاة والحجاب[١] ، والقسم الثاني مجتمع العامة وذكر أن فيه طبقتين : الأولى : تضم الشعراء والمغنين والتجار والأطباء والمؤدبين والثانية تضم الصناع والطوائف الحرفية وعدد منهم الزراع والعيارين والشطار[٢] .

ويقسمها غيره إلى ثلاث طبقات الطبقة العليا وتضم الخلفاء والأمراء والولاة والقواد والوزراء والإقطاعيين والطبقة الوسطى وتضم التجار والشعراء والقضاة وكتاب الدواوين والمغنين . والطبقة الدنيا وتضم عامة الشعب وأهل الذمة والرقيق[٣] .

وهم إذ يقررون هذا التقسيم ، يقررون معه التمايز والصراع الطبقي على أشد أشكاله .. فالطبقة العليا تعيش في رفاهية وترف وبذخ يوجب الحجر عليهم . والطبقة الدنيا تعيش في بؤس وشقاء وجوع

---

(١) ص ٥٠ من رسالة لصلاح عبد الهادي مصطفى الحيدري .

(٢) السابق ص ٩٢ .

(٣) وممن ذهب إلى هذا التقسيم محمد عويس محمد في رسالته للدكتوراه المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ ص ٥٧ وما بعدها . مع أنه رد على التمايز الطبقي وذكر نحوه أيضاً د . شوقي ضيف في كتابه العصر العباسي الأول ص ٤٥ و ٥١ ط ٦ دار المعارف بمصر وذكر نحوه أيضاً د . محمد مصطفى هدارة في كتابه « اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري » ص ٥٢ وما بعدها . وغيرهم .

وضياع وأنها مسخرة لتهيئة كل ما تحتاج إليه الطبقة العليا لكي تمارس بذخها وترفها ولهوها . أما الطبقة الوسطى فهي تتأرجح بين أهل السعادة وأهل الشقاء لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .. ويصور لنا الدكتور شوقي ضيف ذلك بقوله : « ولا ريب في أن هذا البذخ إنما كان يتمتع به الخلفاء وحواشيهم من البيت العباسي ومن الوزراء ومن القواد وكبار رجال الدولة ومن اتصل بهم من الفنانين شعراء ومغنين ومن العلماء والمثقفين ، وكأنما كتب على الشعب أن يكدح ليملأ حياة هؤلاء جميعاً بأسباب النعيم ، أما هو فعليه أن يتجرع غصص البؤس والشقاء وأن يتحمل من أعباء الحياة ما يطاق وما لا يطاق ، ومرد ذلك إلى طغيان الخلفاء العباسيين الذين حرموا الشعب حقوقه وطوقوه بالاستعباد والاستبداد والعنف الشديد ، وقد مضوا هم وبطانتهم يحتكرون لأنفسهم أمواله وموارده الضخمة ، بحيث كانت هناك طبقة تنعم بالحياة إلى غير حد ، وطبقات قتر عليها في الرزق ، فهي تشقى إلى غير حد ، واضطرب أوساط الناس من التجار وغيرهم بين الشقاء والنعيم[١] » . وبعد أن يذكر صنوف الترف والبذخ يقول أيضاً « ولا ريب في أن هذا كله كان على حساب العامة المحرومة التي كانت تحيا حياة بؤس تقوم على شظف العيش لينعم الخلفاء والوزراء والولاة والقواد وكبار رجال

---

(١) العصر العباسي الأول د .شوقي ضيف ص ٤٥ .

الدولة وأمراء البيت العباسي الذين بلغوا هم وأبناؤهم نحو ثلاثين ألفاً لعهد المأمون وطبيعي أن يعم البؤس والشقاء من جانب ، بينما يعم النعيم والترف من جانب آخر ، بل لقد كان للشقاء والبؤس أكثر الجوانب في الحياة العباسية ، فالجمهور يعيش في الضنك والضيق لا الرقيق منه فحسب الذي كان يعمل في القصور والضياع ، بل أيضاً جمهور الناس من الأحرار ، وكأنما كانوا جميعاً أرقاء في هذا النظام الذي كفلت فيه أسباب النعيم ووسائل الترف لأقلية محدودة استأثرت لنفسها بطيبات الأرض والرزق وزينة الحياة »[١] .

هذه هي الصورة المشوهة لجزئية من جزيئات العصر العباسي الأول ، ألا وهي حياته الاجتماعية ، قرر فيها الباحثون هذا الصراع الدامي ، والتمايز الطبقي ، ويعلم الله أن هذه الصورة لم تتفق حتى مع الروايات الضعيفة الواهنة ، وأنها عبارة عن جمع أنصاف الأقوال وأجزاء الروايات التي تنسجم مع مزاج الباحث وميله .

فكيف نصدق أن الخلفاء العباسيين « حرموا الشعب حقوقه وطوقوه بالاستعباد والاستبداد والعنف الشديد ، وقد مضوا هم وبطانتهم يحتكرون لأنفسهم أمواله وموارده الضخمة » ؟ وهذا مثال واحد لخليفة واحد يبين لنا أن هذا ادعاء وأن الحكم الذي صدر فيه إنما

---

(١) السابق ص ٥١ .

كان على جزء ضئيل من شكل الحياة عممه الباحث على الحياة كلها .

هذا المنصور الخليفة الثاني يذكر صاحب « خلاصة الذهب المسبوك » طرفاً من منهجه اليومي فيقول عنه : « كان المنصور يشتغل في صدر نهاره بالأمر والنهي والولايات وشحن الثغور والأطراف والنظر في الخراج والنفقات ومصالح الرعية . فإذا صلى العشاء نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والأطراف وشاور سماره وكان ولاة البريد يكتبون إليه كل يوم بسعر القمح والحبوب والإدام وكل مأكول وكل ما يقضي به القضاة في نواحيهم وما يرد إلى بيت المال وكل ما يحدث . فإذا صلى المغرب يكتبون إليه بما كان ذلك اليوم فإذا نظر في كتبهم فإن رأى الأسعار على حالها سكت وإن تغير منها شيء كتب إلى العامل عن العلة فإذا ورد الجواب تلطف حتى يعود سعر ذلك البلد إلى حاله . وإن شك في شيء مما قضى به القاضي كتب إليه بذلك وسأل من بحضرته عن عمله فإن أنكر شيئاً كتب يوبخه ويلومه . فإذا مضى ثلث الليل قام إلى فراشه وانصرف سماره . فإذا مضى الثلث الثاني قام من فراشه وأسبغ الوضوء وصف في محرابه حتى يطلع الفجر »[١] .

---

(١) خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك لعبد الرحمن سنبط قنيتو الإربلي (ت ٧١٧ هـ) ص٦١ ، ٦٢ - وقف على طبعه وتصحيحه مكي السيد جاسم - مكتبة المثنى بغداد .

وليس هذا استبداداً وتضييعاً وطغياناً وإنما هو عين الرعاية والعناية والقيام بمصالح الدولة .

ومثل هذا يمكن أن يقال عن المهدي وعن الرشيد وعن المأمون وعن المعتصم وغيرهم ، فإن سيرهم الحميدة قد زخرت بها كتب التاريخ والتراجم وإنها تدحض ما نسب إليهم من استبداد واستعباد .

فهذا الرشيد كان في بعض غزواته وألح عليه الثلج ، فقال له بعض أصحابه : « ما ترى يا أمير المؤمنين ما نحن فيه من الجهد والرعية وادعة فقال :اسكت ، على الرعية المنام وعلينا القيام ولابد للراعي من حراسة رعيته »(١) .

وفيه يقول الفضيل بن عياض « ما من نفس تموت أشد عليّ موتاً من هارون أمير المؤمنين ، ولوددت أن الله زاد في عمره من عمري »(٢) ، ويقول أيضاً « الناس يكرهون هذا ، وما في الأرض أعز عليّ منه ، لو أنه حتى يضع رأسه ، لرأيت أموراً عظاماً »(٢) .

وهذا المأمون تأتيه امرأة تشكو ولده العباس في ضيعة اغتصبها منها

---

(١) السابق ص ١١٠و « بغيتة الإرب ورياض الأدب » لأبي محمد بن الشيخ سراج الدين الورقة (٦٠ ـ أ) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٩٧ مجاميع أدب .

(٢) تاريخ بغداد ـ للخطيب البغدادي ١٤ / ١١ ، ١٢ اشترك في نشره : مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة بمصر والمكتبة العربية ببغداد ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣١ م .

فيعقد لها مجلساً للقضاء بنفسه تخاصم فيه تلك المرأة ولده العباس ، فجعل صوتها يعلو على صوت العباس فيعلل المأمون ذلك بأن صوتها صوت الحق فينتصف لها من ولده العباس[١] .

وهذا المعتصم يرى « شيخاً معه حمار عليه حمل شوك ، وقد زلق الحمار وسقط ، والشيخ قائم منتظر من يمر به فيعينه على حمله ، فسأله المعتصم عن حاله ، فأخبره فنزل عن دابته ليخلص الحمار عن الوحل ، ويرفع عليه حمله ، فقال له الشيخ : بأبي أنت وأمي لا تبلل ثيابك وطيبك ، فقال : لا عليك ، ثم إنه خلص الحمار ، وجعل الشوك عليه ، وغسل يديه ثم ركب فقال الشيخ : غفر الله لك ياشاب ، ثم لحقه أصحابه فأمر له بأربعة آلاف درهم ، ووكل به من يسير معه إلى بيته »[٢] .

فمن الواضح إذن أن ما نسب إلى الخلفاء العباسيين من ظلم واستبداد واستعباد للعباد وطغيان وبغي ما هو بالحق وليس فيه دليل صحيح ، وإنما هي أقوال لفَّقَها الوضاعون ، ونشرها المستشرقون ورددها عنهم من يدين لهم بالود والولاء .

---

(١) تمام هذا الخبر في : عصر المأمون د . أحمد فريد رفاعي ١ / ٣٤٩ ط ٤ دار الكتب المصرية .

(٢) الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير ٦ / ٥٢٥ ، ٥٢٨ ط بيروت ودار صادر .

وأما عن الطبقات فإنه لا يخلو مجتمع من المجتمعات من أن تكون فيه تلك الطبقات التي ذكرت ، وحتى المجتمعات الحديثة التي تدعي قيامها على أساس العدل والديمقراطية أو الاشتراكية نجد فيها الطبقات واضحة جداً وضوح الشمس في رابعة النهار .

ولكن الذي نرده هو ذلك الفهم الخاطيء لطبقات المجتمع ، حيث رأى الباحثون وجود التمايز والصراع بين تلك الطبقات كما هو موجود في نظام الطبقات في المجتمع الساساني أو البيزنطي ، ذلك لأن لفظة الطبقات في المجتمع الإسلامي لم يكن لها وجود أبداً ، لأن الإسلام جاء لكي يساوي بين الناس ، والقول بنظام الطبقات قول وافد ، وفد إلينا من الدراسات التي اعتمدت على أهل الغرب ، فاستقر في أفهامنا أن الطبقات عندما تذكر تثير في الإدراك والإفهام ـ على سبيل تداعي المعاني ـ ذلك الصراع والحقد والنزاع الذي كان سائداً بين طبقات المجتمع البيزنطي أو المجتمع الساساني .

ويرد على ذلك الأستاذ محمد عويس محمد فيقول[1] : « والملاحظ أن هذا التقسيم الطبقي للمجتمع العباسي يختلف عن التقسيم الطبقي في كل من المجتمعين الساساني والروماني ، أما المجتمع الساساني فإن الخلاف بينه وبين المجتمع العباسي يظهر في أمرين : الأول توزيع أفراد المجتمع على

(١) في رسالته للدكتوراه « المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ » ص ٦٠ .

طبقات بعينها ، والثاني الحدود الفاصلة بين الطبقات الاجتماعية في كل من المجتمعين » . ثم يذكر طبقات المجتمع الساساني فيقول : « كان هناك الطبقات الأربع الآتية : طبقة رجال الدين .. وطبقة رجال الحرب .. وطبقة الكتاب ، كتاب الدواوين ، وطبقة الشعب والفلاحين والصناع » .. والملاحظ أن هذا التقسيم الطبقي يجعل على رأس المجتمع طبقة اجتماعية لم يعرفها المجتمع العباسي ونعني بها طبقة رجال الدين »[١] .

وعن الحدود بين الطبقات يقول : « وأما من حيث الحدود الفاصلة بين الطبقات في المجتمع الساساني فإنه لما كان هذا المجتمع قائماً على عمادين أساسيين هما : النسب والملكية[٢] ، حتى أن القوانين (كانت تصون النسب في الأسرات كما تحفظ أملاكهم الثابتة)[٣] .. ولم تكتنف النظم بهذا التمييز بين أفراد المجتمع ، إنما وضعت حدوداً صارمة أمام الأفراد فكان لكل فرد مرتبته الاجتماعية ، ومكانه المحدد في الجماعة ، وبلغ من دقة هذا التحديد أن (كان من القواعد السياسية الساسانية المحكمة ألا يطمع أحد في مرتبة أعلى من المرتبة التي يخولها له مولده)[٤] وغلّفوا

---

(١) السابق ص ٦١ .

(٢) إيران في عهد الساسانيين ـ كريستين . ترجمة د . يحي الخشاب ص ٨٥ ، الدار القومية للترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٥٧م .

(٣) السابق ص ٣٠٢

(٤) المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ لمحمد عويس محمد ص ٦١ ـ ٦٣ .

هذا التحديد لدور الفرد في المجتمع وحرمانه من حقه الطبيعي في الارتقاء الاجتماعي إلى الطبقة الأعلى بغلاف ديني مقدس .. وأنهم مع إيمانهم بأن الانتقال من طبقة إلى أُخرى أعلى منها كان محظوراً ، بوجه عام كانوا حين يقع ما يجعلهم يفعلون ما يشذ عن هذه القاعدة كأن يظهر أحد العامة موهبة خاصة فإنهم في تلك الحالة يسلكون سبيلاً شاقة .. ومن المحقق أن هذه الحدود الفاصلة بين أفراد المجتمع الساساني لم تكن ظاهرة في المجتمع العباسي ، فلم يكن عند العباسيين ذلك التحديد الصارم للوظيفة الاجتماعية للفرد ، بحيث لم يكن من حقه أن يجاوز حدود مرتبته الاجتماعية ويسمو إلى مرتبة اجتماعية أعلى ، ونستطيع القول باطمئنان : إن الامتزاج بين الطبقات الاجتماعية في المجتمع العباسي يكاد يكون من الأمور المقررة ، وكان لتقرير مبدأ المساواة بين المسلمين أثره في هذا الامتزاج ، وقد أفاد الموالي ـ الساسانيون ـ من هذه المساواة في المجتمع العباسي حتى أننا رأينا منهم الوزراء ، والقادة ، والولاة ، ولم يكن أي منهم يحتاج إلى ما يشبه (التفويض الإلهي) ليجيز له الارتقاء إلى أعلى المراتب الاجتماعية ، أو أن يعاني في المجتمع الساساني من أجل تحقيق هذه الغاية »[1] .

ويذكر الباحث طبقات المجتمع الروماني وتطوره ويبين أنه قد مر

---

(١) المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ لمحمد عويس محمد ص ٦١ ـ ٦٣

بأربع مراحل وعن المرحلة الأخيرة يقول[١] : « وأصبحنا أمام (ظاهرة توارث الطبقات الاجتماعية في المجتمع) ، بمعنى أنه لم يعد من الممكن للفرد الانتقال من طبقة إلى أخرى بل (كان أفراد كل طبقة يرثون حالتهم الاجتماعية أباً عن جد[٢]) وذلك من مثل ما شاهدنا في المجتمع الساساني ، وهو مالم يعترف به المجتمع العباسي ، وقد تشعب المجتمع الروماني في هذا العصر إلى أربع طبقات مميزة : طبقة الأرستقراطية وتتكون من كبار الموظفين وكبار الملاك الزراعيين وقد ضُمَّ إليها فيما بعد كبار رجال الدين[٢] . والثانية : الطبقة الوسطى وتضم عدداً من أعيان المدن كان يختار من بينهم حكام البلديات ، وهم موظفون مرتبطون بوظائفهم وليس في وسعهم التخلي عن هذه الوظائف[٣] . والثالثة : طبقة العامة ، وتضم أصحاب الحرف في المدن ، وكانوا مندرجين في نقابات ، تضم الزراع في الريف وكان أفرادها محرومين من كل أمل في تحسين مركزهم الاجتماعي ، حيث إنه (لم يكن من حقهم تولي الوظائف العامة)[٤] . وتأتي في قاع المجتمع الطبقة الرابعة : وهي طبقة الجيش ، ويتكون الجيش ، من أشخاص يلتزم الملاك الزراعيون

---

(١) السابق ص ٦٥ ـ ٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ .

(٢) القانون الروماني د . محمود سلام زناتي ص ٥١ و ٥٢ .

(٣) السابق ص ٥٢ .

(٤) القانون الروماني د . محمود سلام زناتي ص ٥٢ .

بتقديمهم ، كما يضم عدداً كبيراً من الشعوب المتأخرة على الأخص من الجرمان ، ولم يعد الجنود يتناولون مرتبات نقدية بل حلت محلها جرايات عينية وإقطاعات صغيرة من الأرض »[١] .

ثم يقول البحث عن المجتمع العباسي :

« ومن الحق أن المجتمع العباسي قد اختلف عن المجتمع الروماني في أطواره الأربعة سواء من حيث التقسيم الطبقي ومن حيث حقوق الأفراد في المجتمع ، وبخاصة أولئك الذين كانوا في أدنى المراتب الاجتماعية إذ لم يضع المجتمع العباسي أمام طموحهم حدوداً صارمة كتلك التي رأيناها في المجتمع الروماني وفي المجتمع الساساني ، إذ كانت هذه الحقوق مصونة بتعاليم الدين الحنيف الذي يبغض التفرقة بين المسلمين ، وخاصة أن حكام الدولة العباسية الجديدة ، أقاموا دولتهم مستمدين قوتهم من أولئك الذين ظلمهم الحكام الأمويون السابقون بسبب الاضطهاد والجنس والتعصب الشديد للعنصر العربي وكأننا أصبحنا أمام قوة جديدة تشد من أزر أولئك الذين عاشوا في قاع المجتمع سواء أكانوا في ظل الحكم الأموي ، أم في ظل الحكم الساساني القديم ، ليسلكوا طريقهم إلى أعلى المراتب الاجتماعية في هذا المجتمع الجديد الذي أسهموا في قيامه

---

(١) القانون الروماني د . محمود سلام زناتي ص ٥٢ .

بقسط وافر من العرق والدم ، فلم يكن مقبولاً من هؤلاء دينياً ونفسياً ، أن يظلوا محصورين داخل الحدود « الفولاذية » الطبقية ، وحين سقطت عنهم هذه الحدود إذا بهم ينخرطون في كل طبقات المجتمع الجديد ، ومنهم من تولى الوزارة وقيادة الجيوش ، وولاية البلدان ، وكثير منهم احتكر مهناً بعينها من مثل كتاب الدواوين »[١] .

ثم يقول[٢] : « ولعلنا .. نلاحظ أن الطبقة الاجتماعية الواحدة تضم بين ثناياها فئات تتنوع فهي تضم أناساً يمارسون مهناً مختلفة ، أو يتفاوتون في درجة الثراء ، وبالمثل فإننا قد نجد أبناء طائفة بعينها ينتمون إلى طبقتين متباينتين ـ فكل طبقة اجتماعية تخضع لحقيقة واضحة هي أن أفرادها (يتشابهون فيما بينهم في نواحي معينة كنوع الحياة أو الحرفة أو الثروة أو التعليم أو الثقافة ويختلفون عن غيرهم في هذه النواحي نفسها داخل نطاق المجتمع الواحد)[٣] . »

يتضح لنا جيداً أن التفاوت الطبقي ـ بالمفهوم الأجنبي ـ غير موجود ، وأن التمايز الطبقي غير مقرر ، ولم يكن هنالك صراع دموي بين طبقات المجتمع ، وليس هنالك عبيد وأشراف ونبلاء ، على غرار ما

---

(١) المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ ص ٦٦ و ٦٧ .

(٢) السابق ص ٧١ و ٧٢ .

(٣) البيان والتبيين ـ للجاحظ ١ / ٢٥٠ ـ ٢٥١ تحقيق عبد السلام هارون ، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٨١ هـ .

هو موجود في المجتمعات الطبقية .

وإنما المقصود بالطبقات الاجتماعية المذكورة في الروايات التاريخية هي الفروق الفردية بين أعضاء المجتمع ، وهذه الفروق ترجع إلى المهنة أو الثقافة أو الحالة الاقتصادية ، وهذا مقرر في كل مجتمع ولا يمكن القضاء على تلك الفروق أبداً ، لأن الحياة لا تستقيم بدون ذلك ، فالمجتمع يشبه أعضاء الفرقة المسرحية ، لكل عضو منهم دور يقوم به .. لينتج عن ذلك عملا متكاملاً ، ولكل مكانته المهمة مهما كان دوره تافهاً فإذا أخل به لحق الخلل بالعمل كله .. وفي ذلك يقول الجاحظ : « لم يخلق الله تعالى أحداً يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض من سخر له : فأدناهم مسخر لأقصاهم ، وأجلهم ميسر لأقلهم ، وعلى ذلك أحوج الملوك إلى السوقة في باب وأحوج السوقة إلى الملوك في باب وكذلك الغني والفقير والعبد وسيده »[١] .

وهكذا نرى باطل هذا الادعاء ، وزوره ، ومجانبته للصواب ، وما هو إلا تضليل وتشويه نجم عن قصد أو غير قصد نتيجة الاختلاف في التصور وسوء الفهم لما تدل عليه كلمة الطبقات .

---

(١) رسالة العثمانية للجاحظ ص ٢٥٤ تحقيق عبد السلام هارون نشر دار الكاتب العربي ١٣٧٤ هـ .

المثال الثاني وتفنيده :

يتهم كثير من الباحثين الخليفة هارون الرشيد بمعاقرة الخمر وبأنه أسرف في مجالس الأنس والشراب والطرب مع الندماء ..

وهذا اتهام باطل ، تدحضه الرواية ، وينفيه العقل ويعرض ابن خلدون هذا الاتهام ثم يرد عليه قائلاً :[١] « من ذلك ما تموء به الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر ، واقتران سكره بسكر الندمان ، فحاشى لله ما علمنا عليه من سوء ، وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة ، وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء ، ومحاوراته الفضيل بن عياض وابن السماك والعمري ومكاتبته سفيان الثوري ، وبكائه من مواعظهم ودعائه بمكة في طوافه ، وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لأول وقتها . حكى الطبري وغيره أنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة ، وكان يغزو عاماً ويحج عاماً . ولقد زجر ابنَ أبي مريم مضحكه في سمره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلاة ... وأيضاً فقد كان من العلم والسذاجة[٢] بمكان لقرب عهده من سلفه المنتحلين لذلك ، ولم

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١ / ٢١٩ وما بعدها ط ١ لجنة البيان العربي تحقيق د . علي عبد الواحد وافي .

(٢) السذاجة : يقصد بها الفطرة السليمة والوضع الصحيح الطبيعي الذي لم يشبه شائبة ، والساذج الصافي الذي لم يختلط بغيره ، المقدمة ص ٢٢٩ الهامش (٦٨ ب) .

يكن بينه وبين جده أبي جعفر بعيد زمن ، إنما خلفه غلاماً . وقد كان أبو جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها . وهو القائل لمالك حين أشار عليه بتأليف الموطأ : ياأبا عبد الله إنه لم يبق على وجه الأرض أعلم مني ومنك .. تجنب فيه رخص ابن عباس ، وشدائد ابن عمر ، ووطئه للناس توطئة قال مالك : فوالله لقد علمني التصنيف يومئذ ولقد أدركه ابنه المهدي أبو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال . ودخل عليه يوماً وهو بمجلسه يباشر الخياطين في إرفاع الخلقان في ثياب عياله ، فاستنكف المهدي من ذلك ، وقال يا أمير المؤمنين عليّ كسوة العيال عامنا هذا من عطائي ، فقال له : لك ذلك ولم يصده عنه ، ولا سمح بالإنفاق من أموال المسلمين . فكيف يليق بالرشيد على قرب العهد من هذا الخليفة وأبوته ، وما ربي عليه من أمثال هذه السير في أهل بيته ، والتخلق بها ، أن يعاقر الخمر أو يجاهر بها ، وقد كانت حالة الأشراف من العرب الجاهلية في اجتناب الخمر معلومة ، ولم يكن الكرم شجرتهم وكان شربها مذمة عند الكثير منهم ، والرشيد وآباؤه كانوا على ثبج[1] من اجتناب المذمومات في دينهم ودنياهم ، والتخلق بالمحامد وأوصاف الكمال ونزعات العرب . وانظر ما نقله الطبري والمسعودي في قصة جبريل بن بختيشوع

---

(١) الثبج : ما بين الكاهل إلى الظهر ، ووسط الشيء ومعظمه (القاموس) وكان على ثبج من كذا : أي متمكنة منه وراسخاً فيه وفي أسمى مرتبة من مراتبه / المقدمة هامش (٨٤) .

الطبيب حين أحضر له السمك في مائدته فحماه عنه ، ثم أمر صاحب المائدة بحمله إلى منزله ، وفطن الرشيد وارتاب به ، ودس خادمه حتى عاينه يتناوله ، فأعد ابن بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك في ثلاثة أقداح . خلط إحداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلوى ، وصب على الثانية ماء مثلجاً ، وعلى الثالثة خمراً صرفاً ، وقال في الأول والثاني هذا طعام أمير المؤمنين ، إن خلط السمك بغيره أو لم يخلطه ، وقال في الثالث هذا طعام ابن بختيشوع ، ودفعها إلى صاحب المائدة ، حتى إذا تنبه الرشيد وأحضره للتوبيخ أحضر الثلاثة الأقداح ، فوجد صاحب الخمر قد اختلط وأماع وتفتت ، ووجد الآخرين قد فسداً وتغيرت رائحتها فكانت له في ذلك معذرة . وتبين من ذلك أن حال الرشيد في اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطانته وأهل مائدته . ولقد ثبت عنه أنه عهد بحبس أبي نواس لما بلغه من انهاكه في المعاقرة حتى تاب وأقلع .

وإنما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب أهل العراق وفتاويهم فيها معروفة[١] .

---

(١) يقصد بمذهب أهل العراق مذهب أبي حنيفة . ففي هذا المذهب يحل شرب عصير التمر في حالتين : إحداهما مجمع عليها لدى فقهاء هذا المذهب ، والأخرى مختلف فيها بينهم . الحالة الأولى : إذا نقع أو طبخ طبخاً وشرب منه قبل أن يغلي ويشتد وعصير التمر في هذه الحالة حلال بإجماع فقهاء هذا المذهب والحالة =

وأما الخمر الصرف[1] فلا سبيل إلى اتهامه به . ولا تقليد الأخبار الواهية فيها ، فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرماً من أكبر الكبائر عند أهل الملة ، ولقد كان أولئك القوم كلهم بمنجاة من ارتكاب السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم ، لما كانوا عليه من خشونة البداوة وسذاجة الدين التي لم يفارقوها بعد . فما ظنك بما يخرج

= الثانية : إذا طبخ طبخاً حتى غلا واشتد وشرب منه مقدار قليل يغلب على ظن الشارب أنه لا يسكره وكان شربه له لغرض (التقوي) لا يقصد اللهو والطرب . والقول بالحل في هذه الحالة ليس مجمعاً عليه في مذهب أبي حنيفة . فالإمام محمد يقول بالحرمة . هذا إلا أن الشارب إذا تناول من هذا العصير المطبوخ مقداراً كبيراً يسكر عادة ، أو شربه بقصد اللهو والطرب فإنه يكون حراماً بإجماع فقهاء هذا المذهب . وهذا كله في حالة الطبخ . أما إذا نقع وترك حتى غلا واشتد فإنه يكون حراماً على الإطلاق بإجماعهم مقدمة ابن خلدون الهامش (٨٦) . تراجع تفاصيل هذا الموضوع في : تبين الحقائق شرح كنز الدقائق للعلامة الزيلعي الحنفي المجلد ٦ / ٤٤ وما بعدها ط دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت . وفي الفتاوى الهندية للعلامة مولانا الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند الأعلام . جـ ٥ / ٤٠٩ وما بعدها . طبعة مصورة في الطبعة الثانية بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق المحمية سنة ١٣١٠ هـ . نشر دار المعرفة بيروت .

(١) الخمر الصرف هو عصير العنب إذا ترك حتى غلا واشتد ويلحق به في الحرمة بالإجماع عصير العنب إذا طبخ حتى غلا واشتد وعصير التمر والذبيب إذا نقع كل منهما وترك حتى غلا واشتد . أما عصير التمر والذبيب المطبوخين فقد تقدم حكمها . المقدمة الهامش ٨٧ .

عن الإباحة إلى الحظر وعن الحلية إلى الحرمة . ولقد اتفق المؤرخون الطبري والمسعودي وغيرهم على أن جميع من سلف من خلفاء بني أمية وبني العباس إنما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف واللجم والسروج ، وأن أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد . وهكذا كان حالهم أيضاً في ملابسهم فما ظنك بمشاربهم . ويتبين ذلك بأتم من هذا إذا فهمت طبيعة الدولة في أولها من البداوة والغضاضة .. » .

يقول الدكتور عبد الجبار الجومرد : « والذي يبدو لنا أن دفاع ابن خلدون هذا كان على صواب ، فلم يشرب الرشيد غير النبيذ الذي أفتى بتحليله جمهرة من فقهاء العراق ، وفيهم الإمام أبو حنيفة ... كان الرشيد يشرب هذا النبيذ الحلال ، ويحتسيه في مجلس خاص ، مع نفر قليل جداً من أقرب جلاسه إليه ، ولا يراه أحد دون هؤلاء .. »[١] .

وقد مر بنا سابقاً الدور الذي لعبه التصور الخاطىء وسوء الفهم لمعنى الشرب ولمجلس المنادمة . وقد اتضح المفهوم الصحيح من خلال رواية الجاحظ حيث يقول : « وكان الرشيد في أخلاق أبي جعفر المنصور يمتثلها كلها إلا في العطايا والصلات والخلع . فإنه كان يقفو فعل أبي العباس والمهدي . ومن خبرك أنه رآه قط وهو يشرب إلا الماء

(١) هارون الرشيد ـ د . عبد الجبار الجومرد ١ / ٢٣٣ و ٢٣٤ مطبعة دار الكتب بيروت .

فكذبه . وكان لا يحضر شربه إلا خاص جواريه »[١] ، ويقول في وضع آخر من نفس هذا الكتاب : « .. على أنه لم يره أحد قط يشرب ظاهراً . إلا أنه كان يقصد هذين اليومين لندمائه »[٢] .

فالشراب المقصود هو غير الخمر المحرم ، ويبدو أن أنواعاً كثيرة من الأشربة قد انتشرت في ذلك العصر ، يقول الأستاذ فيليب حتى : « أما بالنسبة إلى المشروبات الأخرى فهي كثيرة منها الماء واللبن ثم الشربات أو الشربت والتي كانت تصنع من الماء المحلى بالسكر وتعطر بخلاصة البنفسج أو الموز أو الورد أو التوت »[٣] .

فما شاع عن انتشار الخمر في العصر العباسي الأول ، وأن الناس كانوا يعقدون مجالس الشرب ليل نهار ، وأنهم أسرفوا في المعاقرة والمنادمة كل ذلك وَهَم وسوء فهم وتخبط في الظلام ، لأن واقع الدولة ، وأخبارها ، والروايات عن الخلفاء وعقابهم لشاربي الخمر ، يكذب تلك الشائعات المضللة . والصحيح أن هذه الأشربة التي ذكرها الجاحظ وذكرها الأستاذ حتى هي التي انتشرت في هذا العصر .

فإذا كان هذا حال الناس ، فالأولى أن يكون خلفاؤهم أبعد عن

---

(١) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ ص ٣٧ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٣ .

(٣) تاريخ العرب . فيليب حتى ٢ / ٤١٩ ترجمة محمد مبروك نافع ط ٣ القاهرة ١٩٥٢ م .

إفساح المجال لطعن الأعداء ، لأنهم كانوا يعلمون أن حركاتهم وسكناتهم ترصد عليهم .

وهكذا يمكن دحض بقية الادعاءات والافتراءات التي قيلت ولفقت عن هذا العصر من مثل الاقتباس في الحضارة من الرومان والهنود والفرس وحتى من الصين[١] ، ومن مثل انشغال الخلفاء باللهو والترف والمجون ، وبذخهم وإسرافهم في الانفاق على المغنين والراقصات ومجالس الأنس والطرب ، ونسوا إنفاقهم على العلم والعلماء والإعمار والبناء ، والجهاد والفتوح ، ولكني أكتفي بهذين المثالين للإيجاز الذي وصفت به هذه المقدمة .

وأنا إذ أقرر لا أنزه الخلفاء ، ولا العصر عن كل شائبة ، أو نقيصة ، فالكمال لله ـ وكفى المرء نبلاً أن تعد معايبه ـ ولكن أقول إن ما ذكر عنهم من مثالب إنما يحتل الرقعة الصغيرة من حياتهم ، وأما المساحة الواسعة من عصرهم فقد كانت تتمثل فيها الحياة الإسلامية وفي ذلك يقول المرحوم الدكتور مهدي صالح السامرائي[٢] « إنني إذ أثبت إسلامية

---

(١) رد على الاقتباس مع ضياع الشخصية الدكتور ناجي معروف في كتاب مستقل هو « أصالة الحضارة العربية » تراجع الصفحات ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ١٨ ط ٢ مطبعة التضامن ـ بغداد ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م فقد ذكر أن هذا الاقتباس كان أولاً : يسيراً جداً . وثانياً : طبعة العرب بطباعهم ولم يأخذوه على علاته وثالثاً : نسي الدارسون تأثير الحضارة الإسلامية في غيرها .

(٢) في مقاله المذكور سابقاً في مجلة كلية الدراسات الإسلامية عدد ٤/١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م

المجتمع العباسي لا أريد تنزيه خلفائه وأفراده عن السوء فما هو متوقع أن يتعرض الناس للإثم ولو لم يكن الأمر كذلك لما كان معنى لنصوص العقوبات والزواجر في الشريعة .. إنني أريد بذلك أن أثبت في الأذهان أن المساحة الكبيرة في المجتمع العباسي تخضع لتصورات الإسلام ومفاهيمه . أما التصورات الهابطة المنحرفة فلا تحتل في المجتمع إلا مكاناً ضيقاً ولذلك لا يسوغ أن ندرس المجتمع العباسي من خلال فجواته الضيقة لأن في هذا قلباً للواقع .. » .

ولكني أثبت إسلامية العصر ، وأن الإسلام كان يحتل منه الرقعة الواسعة ، وأن الشريعة كانت مهيمنة ولها الهيبة والاحترام ، لابد لي من الكلام عن التصورات والمفاهيم الإسلامية لدى الخلفاء .

التصورات والمفاهيم الإسلامية لدى الخلفاء :

كانت تصورات الخلفاء الإسلامية ومفاهيمهم حسنة وصحيحة في هذا العصر ، وقد زخرت كتب التراجم والأخبار بذلك وتتمثل هذه التصورات والمفاهيم بأمور عديدة أذكر منها :

العقيدة :

كانت عقيدة الخلفاء العباسيين سليمة وقويمة ولم يتكلم فيها أحد ، إلا ما كان من المأمون والمعتصم والواثق في قسم من خلافته حتى حدثت المناظرة بين أحمد بن أبي دواد وعبد الله بن محمد الأذرمي في حضرته

فتراجع عنها وتمام الخبر : « حمل ـ إلى الواثق ـ فيمن حمل رجل مكبل بالحديد من بلاده ، فلما دخل ـ وابن أبي دواد حاضر ـ قال المقيَّد : أخبرني عن هذا الرأي الذي دعوتم الناس إليه ، أعَلِمَه رسول الله عليه الصلاة والسلام فلم يدع الناس إليه ، أم شيء لم يعلمه ؟ . قال ابن أبي دواد : بل علمه ، قال : فكان يسعه أن لا يدعو الناس إليه وأنتم لا يسعكم ؟ قال : فبهتوا ، وضحك الواثق ، وقام قابضاً على فمه ، ودخل بيتاً ومد رجليه وهو يقول : ويسع النبي صلى الله عليه وسلم أن يسكت عنه ولا يسعنا ، فأمر أن يعطى ثلثمائة دينار ، وأن يرد إلى بلده ، ولم يمتحن أحداً بعدها ، ومقت ابن أبي دواد من يومئذ . والرجل المذكور هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الأذرمي ، شيخ أبي دواد والنسائي »[1] .

العبادات :

لم تكن عقيدة الخلفاء عقيدة قلبية فقط وإنما كانت عقيدة سليمة دفعت أصحابها للاستجابة لها بكل جوارحهم والالتزام بكل مقتضياتها ، ومن أهم ذلك العبادات .

فكان الخلفاء يؤدون الفرائض . ولم يصلنا خبر يفيد أنهم قصروا في

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٤١ ، ٣٤٢ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط ٤ مطبعة الفجالة الجديدة ـ القاهرة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

ذلك ، بل إن الأخبار تذهب إلى حرصهم الشديد على أداء هذه الفروض وأهمها الصلاة والحج والجهاد والإنفاق في السر والعلن ، فهذا الرشيد مثلاً « كان يصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات ، ولا يتركها إلا لعلة ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم »[١] ، « وثبت في أخباره أنه حج في فترة خلافته تسع مرات بمعدل كل عامين مرة عدا حجاته التي سبقت خلافته ، وأبى في آخر حجة له إلا أن يزحف ماشياً من الرَّقَّة إلى مكة .. وكان من عادته إذا حج أحج معه مائة من الفقهاء على نفقته ، وفي السنة التي لا يحج فيها يرسل عوضاً عنه ثلاثمائة رجل إلى مكة ، بالنفقة والكسوة الظاهرة .. ومن عادته أيضاً في كل حجة يحجها ، أن يوزع أموالاً طائلة وصدقات عظيمة في سكان الحرمين وفقراء الحجيج ، ولم يسبقه في مثل هذا خليفة قبله[٢] .. » وقيل عن المأمون : « إنه ختم في بعض الرمضانات ثلاثاً وثلاثين ختمة ..»[٣] . وقد مر بنا سابقاً المنهج اليومي للمنصور وقد جاء فيه : « فإذا مضى الثلث الثاني ـ من الليل ـ قام من فراشه وأسبغ الوضوء وصف في محرابه حتى يطلع الفجر »[٤] .

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٨٤ .

(٢) هارون الرشيد د . عبد الجبار الجومرد ١ / ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٠٦ .

(٤) خلاصة الذهب المسبوك للأربلي ص ٦٢ .

الدعاء :

أكثر الخلفاء من الدعاء والضراعة والتوسل إلى الله تعالى في الرخاء والشدة ـ والدعاء مخ العبادة ـ وهو دليل على إيمانهم العميق وعقيدتهم السليمة في الالتجاء إلى الله عز وجل .

فهذا السفاح يقول بعد أن ينظر في المرآة ـ وكان حسن الوجه ومن أجمل الناس ـ : « اللهم إني لا أقول كما قال عبد الملك أنا الملك الشاب ، ولكن أقول : اللهم عمرني طويلاً في طاعتك ممتعاً بالعافية »[١] . وهذا الرشيد عندما دنا أجله ، أمر بحفر قبره ، وأمر بقراءة القرآن فيه فختم الخدم فيه القرآن ، وهو يستغفر ويردد بعض الآيات . »[٢] . وهذا المعتصم لما احتضر قال : « اللهم إنك تعلم أني أخافك من قبلي ، ولا أخافك من قبلك وأرجوك من قبلك ، ولا أرجوك من قبلي »[٣] .

خطبهم وإمامتهم للناس :

كان الخلفاء أئمة للناس في صلاتهم كما كانوا أئمتهم في دنياهم . « فإذا حضرت الصلاة فالخليفة أولى من غيره بإمامة الناس حتى ولو حضر

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠ / ٤٩ .
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦ / ٢١٣ .
(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٣٦ .

أزهدهم .. »[١] .

وكذلك كان الخليفة يخطب الناس في صلاة الجمعة وفي صلاة العيد وإذا حدث أمر هام ، وعند بيعته للخلافة . وكانت تلك الخطب تمثل فهمهم السليم للإسلام وتصوراته . أختار من ذلك خطبة السفاح في صلاة الجمعة بعد أن تمت بيعته . قال في الخطبة : « الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه ، واختاره لنا ، وأيده بنا ، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه ، والقوّام به ، والذابيّن عنه ، ثم ذكر قرابتهم في آيات القرآن ، إلى أن قال : فلما قبض الله نبيه قام بالأمر أصحابه إلى أن وثب بنو حرب ومروان ، فجاروا واستأثروا ، فأملى الله لهم حيناً حتى أسفوه فانتقم منهم بأيدينا ، ورد علينا حقنا ليمنّ بنا على الذين استضعفوا في الأرض ، وختم بنا كما افتتح بنا ، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله ، ياأهل الكوفة أنتم محل محبتنا ، ومنزل مودتنا ، لم تفتُروا عن ذلك ، ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجورة فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا ، وقد زدت في أعطياتكم مائة مائة . فاستعدوا فأنا السفاح المبيح ، والثائر المبير »[٢] . ومن ذلك أيضاً خطبة الرشيد مرة والتي قال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أيها الناس أوصيكم بتقوى

---

(١) طبقات المجتمع العراقي في العصر العباسي الأول لفائق نجم مصلح ص ١٥ ، وتمام الخبر في : التاج في أخلاق الملوك للجاحظ ص ٧٦ .

(٢) السيوطي السابق ص ٢٥٧ .

الله ، فإن في التقوى تكفير السيئات ، وتضعيف الحسنات ، وفوزا بالجنة ، ونجاة من النار .. وأُحذركم يوماً تشخص فيه الأبصار وتبلى فيه الأسرار ، يوم لا يستعتب من سيئة ، ولا يزاد في حسنة ، يوم الآزفة ، إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ، وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .. واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون . عباد الله : إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تتركوا سدى ، فحصّنوا إيمانكم بالأمانة ، ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة إنكم سفراء تجتازون ، وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء . فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالأمانة .. وإياكم والأماني فقد غرّت وأوردت كثيراً حتى أكذبتهم مناياهم ، فتناوشوا التوبة من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون ... آمركم بما أمركم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم عنه وأستغفر الله لي ولكم »[١] .

الجهاد :

تربى خلفاء العصر العباسي الأول على حب الجهاد والتضحية ، فقادوا الجيوش وفتحوا البلدان وقاتلوا الروم وقمعوا الثورات والفتن منذ قيام دولتهم حتى استتب الأمر لهم ولاسيا في عهد الرشيد الذي كان

---

(١) هارون الرشيد للجو مرد ص ٢٤٣ .

يقود الجيش بنفسه فكان يغزو عاماً ويحج عاماً ، كما قال فيه أبو المعالي الكلابي :

فمن يطلب لقـــاءك أو يرده
فبـــالحرمين أو أقصى الثغـــور
ففي أرض العـــدو على طمر
وفي أرض الترف فـــوق كـــور[١]

وقد رد الرشيد على كتاب نقفور ملك الروم عند نقضه الهدنة بأن كتب على ظهر كتـــابـــه : « بسم الله الرحمن الرحيم من هـــارون أمير المؤمنين ، إلى نقفور كلب الروم ، قد قرأت كتابك ياابن الكافرة ، والجواب ما تراه ، لا ما تسمعه . » ثم سار ليومه فلم يزل حتى نازل هرقل ، وكانت غزوة مشهورة وفتحا مبيناً ، فطلب نقفور الموادعة ، والتزم بخراج يحمله كل سنة ، فأُجيب ، فلما رجع الرشيد إلى الرَّقَّة نقض الكلب العهد ليأسه من كرّة الرشيد في البرد ـ فأُخبر الرشيد ـ فقال : أوقد فعلها ؟ فكر راجعاً في مشقة شديدة حتى أناخ بفنائه فلم يبرح حتى بلغ مراده وحاز جهاده .. »[٢] .

ومثل ذلك فعل المعتصم حين فتح عمورية حيث يذكر الخطيب

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٨٣ .

(٢) السابق ص ٢٨٨ و ٢٨٩ .

البغدادي في سبب فتحها « أن العباسي ابن الفرج يقول : كتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدده فيه ، فأمر بجوابه ، فلما قرىء عليه الجواب لم يرضه ، قال للكاتب : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وسمعت خطابك ، والجواب ما ترى لا ما تسمع ، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ـ وقيل إن سبب فتحها هو الشريفة المأسورة التي عذبها صاحب عمورية من ملوك الروم فنادت وامعتصماه فلبى نداءها ـ وخرج في مقدمة عسكره أربعة آلاف أبلق وأتى عمورية فحاصرها وخلص الشريفة وقال : اشهدي لي عند جدك المصطفى صلى الله عليه وسلم أني جئت لخلاصك .. »[١] .

روايتهم للحديث وطلبهم للعلم وحرصهم على التربية :

تدل روايتهم للحديث النبوي ورواية الحديث عنهم على مكانتهم العالية في الإسلام ، وقد ساق السيوطي في مقدمة تراجمهم راويتهم ومن روى عنهم ثم روى لهم الأحاديث التي رووها .

وكذلك طلبهم للعلم فقد حرصوا كل الحرص على طلب العلم ، وأخذوا أنفسهم بالعلم والثقافة ـ إلا ما كان من المعتصم ـ فقد كانوا

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣ / ٣٤٤ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٣٨ ، وصبح الأعشى للقلقشندي ٣ / ٢٦٧ و ٢٦٨ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

يجلبون المؤدبين لأبنائهم من كبار العلماء من أهل الاختصاص أمثال الكسائي والفراء وسيبويه والأحمر واليزيدي .

وقد حرصوا أيضاً على الأخلاق والتربية ، والاتصاف بالصفات الحميدة التي تناسب مكانتهم في قيادة الأمة وهذا واضح في وصية الرشيد للأحمر النحوي مؤدب ولده الأمين حين قال له : ياأحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، فصيّر يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروّه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، وخذ بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ، وادفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه . ولا تمرنّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة »[١] .

خشيتهم من الله وورعهم :

اتصف خلفاء العصر العباسي الأول بخشيتهم من الله تعالى ، وتورعهم عن تعدي حدوده ومراقبتهم لله تعالى ، وخوفهم من عقابه ، وكانوا يخشعون عند سماع الوعظ ، ويعتبرون بعبر الوعاظ ، بل ويكثروا

(١) عصر المأمون د . أحمد فريد رفاعي ١ / ١٩١ وما بعدها .

من البكاء من خشية الله تعالى .

يقول الأستاذ فائق نجم مصلح : « كان بعض خلفاء بني العباس لشدة خوفهم من عقاب الباري يحاولون إنصاف الرعية ونشر العدل بينهم ، قيل إن « أبا العباس السفاح حينما بنى مدينة الهاشمية سنة ١٣٤ هـ لم يقبل الدخول فيها إلا بعد أن عوض أصحاب الأراضي التي بنيت على أرضهم »[١]

ومن خشية الرشيد من الله ما ذكر « أنه في يوم سجن الرشيد أبا العتاهية فكتب هذا على حائط السجن أبياتاً من ضمنها :

إلى ديان يوم الدين نمضي

وعند الله تجتمع الخصوم

فلما سمع الرشيد بكى وأخرجه من السجن وأعطاه ألف دينار »[٢] .

« وقد أجمع الرواة والمؤرخون على أن الرشيد كان من أرق الخلفاء وجهاً وأكثرهم حياء وأخشعهم قلباً وأغزرهم دمعاً عند الموعظة الحسنة »[٣] وقال منصور بن عمار : « ما رأيت أغزر دمعاً عند الذكر

---

(١) في رسالتة للماجستير طبقات المجتمع العراقي في العصر العباسي الأول ص ٢٩ .

(٢) الكامل لابن الأثير ٦ / ٨٨ .

(٣) هارون الرشيد للجومرد ١ / ٢٢٨ .

من ثلاثة : الفضيل بن عياض وأبو عبد الرحمن الزاهد وهارون الرشيد »[١] .

ودخل ابن المبارك والرشيد على الفضيل بن عياض ، فنظر إليه الفضيل ساعة ـ أي إلى الرشيد ـ ثم قال : « هذا الوجه الجميل يسأل غداً عن أمة محمد ويؤاخذ بها . لئن كان العفو والغفران يسعك مع ما أنت فيه ، إن هذا لهو الفضل المبين ، ثم جعل يعظه ويذكره ، حتى رق هارون وفاضت عيناه ، ثم استرسل الفضيل وصار يذكر مثالبه ومثالب أهل بيته ورداءة سيرتهم فلم يعجب الرشيد ذلك فقال له : ياأبا الحسن أمالك ذنوب تخاف أن تهلك بها إن لم يغفر الله لك ؟ قال الفضيل : بلى ، قال الرشيد : فما جعلك بأحق مني ؟ أترجو المغفرة ولا أرجوها أنا ؟ وأنا على دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات ، ومع ذلك فإني والله ما كنت لأخير بين شيء وبين الله إلا اخترت الله على ما سواه ، والله المطلع على نيتي وضميري وكفى به شهيداً ، وأنا مع ذلك آلي من الإصلاح بين الناس ، والجهاد في سبيل الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ما لا تليه أنت ، فما جعلك أن ترجوه المغفرة لي فسكت الفضيل ، ثم قال : ماظلمك من حجك »[٢] .

وهذا المأمون يناظر رجلاً مرتداً من أهل خراسان ويحاجه ،

---

(١) خلاصة الذهب المسبوك للأربلي ص ١١٢ .

(٢) هارون الرشيد د . الجومرد ١ / ٢٢٨ و ٢٢٩ .

فيرجع الرجل إلى الإسلام ويقول : أشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن المسيح عبد الله ورسوله وأن محمداً صلى الله عليه وسلم صادق ، وأنك أمير المؤمنين حقاً . فانحرف المأمون نحو القبلة فخر ساجداً[١] .

حبهم للعدل :

من المفاهيم الإسلامية التي اهتم بها الخلفاء العباسيون العدل ، فقد التزموا منهجاً لهم ، وأوصوا به عمالهم ، وقد أكد ذلك الخليفة المنصور حيث كتب إلى عامل له بعد شكوى متظلم : إن آثرت العدل صحبتك السلامة وإن آثرت الجور فما أقربك من الندامة فانصف هذا المتظلم من الظلامة »[٢] .

وأجمل العدل ما كان في الحرب مع الأعداء ، فهذا الأمين يوصي قائده علي بن عيسى بن ماهان لما جاز باب خراسان قال له : « امنع جندك من العبث بالرعية ، والغارة على أهل القرى ، وقطع الشجر ، وانتهاك النساء وولّ الريّ يحي بن علي ، واضمم إليه جنداً كثيفاً ، ومره ليدفع إلى جنده أرزاقهم مما يجيء من خراجها .. »[٣] .

وقد توّج المأمون العدل على دولته ملكاً حين نزل للتقاضي مع رجل

---

(١) ملخص عن عصر المأمون د . الرفاعي ١ / ٣٦٢ .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦ / ١١ .

(٣) عصر المأمون د . رفاعي ١ / ٢٠٥ .

اتهم موكله بغصب ماله ، فمثل المأمون أمام القاضي يحي بن أكثم هو والرجل ، وكان مع المأمون غلام يحمل مصلى فعندما طلب القاضي منهما الجلوس طرح المصلى ليقعد عليها فقال له يحي : ياأمير المؤمنين لا تأخذ على خصمك طرف المجلس فطرح لـه مصلى آخر ، ثم نظر في دعوى الرجل وطالب المأمون باليمين وحلف .. »[١] ، وقد مر بنا سابقاً خبر المرأة التي اشتكت له من ابنه العباس في غصب ضياعها ، فأشخصه معها أمامه في مجلس قضاء فعلا صوتها على صوته وانتصف لها منه .

نقش خاتمهم :

يدل نقش خاتم كل خليفة على تصوره الإسلامي وعلى مفاهيم إسلامية لديه ، وأنقل فيما يلي نقوش خواتمهم :

السفاح : (الله ثقة عبد الله) [٢]

المنصور : (الله ثقة عبد الله وبه يؤمن)[٣]

---

(١) ملخص عن عصر المأمون د . أحمد فريد رفاعي ١ / ٤٦ .
(٢) خلاصة الذهب المسبوك ٥٤ .
(٣) مختصر التاريخ لابن الكازروني ص ١١٤ تحقيق د . مصطفى جواد مطبعة الحكومة ـ بغداد .

المهدي : (حسبي الله)[١] ، وقيل (العزة لله)[٢]

الهادي : (الله ثقة موسى وبه يؤمن)[٣]

الرشيد : (العظمة والقدرة لله) وقيل
(كن من الله على حذر)[٤] وقيل
(لا إله إلا الله)[٥]

الأمين : (محمد واثق بالله)[٦] وقيل
(حسبي القادر)[٧]

المأمون : (سل الله يعطك)[٨] وقيل
(عبد الله يؤمن بالله مخلصاً)[٩]

---

(١) و(٤) (٦) صبح الأعشى للقلقشندي ٦ / ٣٥٤ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

(٢) مختصر التاريخ ص ١١٨ .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٨١ .

(٥) مختصر التاريخ ص ١١٥ .

(٧) المرجع السابق ص ١٣١ .

(٨) صبح الأعشى للقلقشندي ٦ / ٣٥٤ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

(٩) مختصر التاريخ ١٣٤ .

المعتصم : (الله ثقة أبي إسحاق الرشيد وبه يؤمن)[١]

وقيل (الحمد لله الذي ليس كمثله شيء)[٢]

الواثق : (الله ثقة الواثق بالله)[٣] وقيل

(الله ثقة الواثق)[٤]

هذه بعض الأمور التي تبين لنا التصورات والمفاهيم الإسلامية لدى الخلفاء العباسيين في عصرهم الأول الزاهر .

وبعد ... فهذا غيض من فيض مما قيل وأثير من الشبهات عن العصر العباسي الأول وأنا إنما أردت بهذه العجالة الموجزة أن أشير إلى أشهر تلك الاتهامات والشبهات ، التي أثيرت حول ذلك العصر ، وأثبت بطلانها وأكشف زيفها من مصادر ومراجع مشهورة في دراسة ذلك العصر ، وهي أمثلة فحسب لم أنو بها الاستقصاء والشمول ، ولعلي بذلك أزيل بعض الغبار السام الذي غطى به وجه العصر النصع ، وأسهم في إجلاء ما لحق صورته الجميلة من تشويه بأيد حاقدة أو جاهلة ، ولعلي بذلك أيضاً أفتح باباً واسعاً أمام إخوتي الباحثين المخلصين ليتناولوا

---

(١) و (٤) صبح الأعشى للقلقشندي ٦ / ٢٥٤ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

(٢) مختصر التاريخ ١٣٨ والسيوطي ٣٣٧ .

(٣) مختصر التاريخ ١٤٢ .

دراسة هذا العصر دراسة جادة موضوعية ، وبجدية تامة ، بعيدة عن كل شطط وزيغ . والله أسأل أن يوفقنا للخير والرشاد . وهو تعالىٰ ولي التوفيق .

فهرس المصادر والمراجع
التي تهم الباحثين للعصر العباسي الأول

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري . د . محمد مصطفى هدارة .

٣ ـ اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري . يوسف حسين بكار . دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ م .

٤ ـ أصالة الحضارة العربية . د . ناجي معروف . ط٢ مطبعة التضامن ببغداد سنة ١٩٦٩ م .

٥ ـ انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث . مالك بن بني . مطبعة دار البيان بمصر سنة ١٩٧٠ م .

٦ ـ ايران في عهد الساسانيين ـ كريستنيين . ترجمة د . يحيى الخشاب . الدار القومية للترجمة والنشر . القاهرة ١٩٥٧ م .

٧ ـ بحوث في تاريخ السنة المشرفة . د . أكرم ضياء

العمري . مطبعة الإرشاد بغداد ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م .

٨ ـ بغية الأرب ورياض الأدب . لأبي محمد بن الشيخ سراج الدين . (مخطوط) بدار الكتب المصرية برقم ٩٧ مجاميع (أدب) .

٩ ـ البيان والتبيين . للجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨١ هـ . وط٣ نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ومكتبة الهلال ببيروت والمكتب العربي بالكويت ١٩٦٨ .

١٠ ـ التاج في أخلاق الملوك . للجاحظ . تحقيق أحمد زكي باشا . طبعة صورتها مكتبة المثنى ببغداد عن الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٤ م .

١١ ـ تاريخ الألقاب والمراسيم في الإسلام . (رسالة دكتوراه) قدمها حسن باشا لجامعة القاهرة سنة ١٩٥٢ .

١٢ ـ تاريخ بغداد . للخطيب البغدادي . اشترك في نشره مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة بمصر والمكتبة العربية ببغداد ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣١ م .

١٣ ـ تاريخ التمدن الإسلامي . جرجي زيدان . راجعه

د . حسين مؤنس . دار الهلال بمصر ١٩١٤ م .

١٤ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . ط٤ الفجالة الجديدة بالقاهرة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

١٥ ـ تاريخ الرسل والملوك . ابن جرير الطبري . دار المعارف بمصر ١٩٦٠ . وطبعة ليدن .

١٦ ـ تاريخ العرب . فيليب حتى . ترجمة محمد مبروك نافع . ط٣ القاهرة ١٩٥٢ م .

١٧ ـ تاريخ اللباس في العصر العباسي الثاني . رسالة قدمها صلاح حسين العبيدي لجامعة القاهرة .

١٨ ـ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق . للعلامة الزيلعي الحنفي . طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت .

١٩ ـ التزيق والحلي عند المرأة في العصر العباسي . (رسالة ماجستير) قدمتها زكية عمر العلي لجامعة بغداد ونشرتها وزارة الاعلام العراقية في سلسلة الكتب الحديثة برقم ٩٩ سنة ١٩٧٦ .

٢٠ ـ تطور نظام الوزارة من بداية العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري . (رسالة ماجستير) قدمتها سامية

توفيق عبد الله سنة ١٩٧١ لجامعة القاهرة .

٢١ ـ التنظيمات الإدارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول . (رسالة دكتوراه) قدمتها جهادية القراغولي لكلية البنات جامعة عين شمس سنة ١٩٧٤ .

٢٢ ـ التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول . (رسالة دكتوراه) قدمها مجاهد مصطفى بهجت لجامعة الأزهر سنة ١٩٧٥ .

٢٣ ـ الحضارة العربية . جاك . س . ريسلر . ترجمة غنيم عبدون . الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٢٤ ـ الحالة العلمية في صدر الدولة العباسية . رسالة قدمها محمد سيد أحمد إسماعيل خليفة لجامعة الأزهر .

٢٥ ـ خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك . لعبد الرحمن سنبط قنيتو الأربلي وقف على طبعه وتصحيحه مكي السيد جاسم . مكتبة المثنى ببغداد .

٢٦ ـ رسالة العثمانية . الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . نشر دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٣٧٤ هـ .

٢٧ ـ الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة

الإسلامية في العصر العباسي الأول . (رسالة دكتوراه) قدمتها زاهية مصطفى قدورة لكلية الأداب بجامعة فؤاد الأول ١٩٥١ م .

٢٨ ـ صاحب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني الراوية . د . محمد أحمد خلف الله . ط٣ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٨ م .

٢٩ ـ صبح الأعشى في صناعة الانشا . ابو العباس أحمد بن علي القلقشندي . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

٣٠ ـ طبقات المجتمع العراقي في العصر العباسي الأول . (رسالة ماجستير) قدمها فائق نجم مصلح لجامعة عين شمس سنة ١٩٧١ م .

٣١ ـ العامل السياسي في أدب العصر العباسي . أحمد الشايب . مطبعة الاعتماد بمصر ١٩٥٠ م .

٣٢ ـ العصر العباسي الأول . د . شوقي ضيف . ط٦ دار المعارف بمصر ١٩٧٦ .

٣٣ ـ عصر المأمون . د . أحمد فريد رفاعي . ط٤ دار

الكتب المصرية .

٣٤ - الفتاوى الهندية . للعلامة مولانا الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند الأعلام . طبعة مصورة عن الطبعة الثانية بالمطبعة الأميرية ببولاق المحمية سنة ١٣١٠ هـ نشر دار المعرفة ببيروت .

٣٥ - فتح الباري شرح صحيح البخاري . لابن حجر العسقلاني . تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٨٠ هـ .

٣٦ - في التاريخ فكرة منهاج . الاستاذ سيد قطب . دار الشروق - بيروت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

٣٧ - في جولة مع المستشرقين . الاستاذ عبد الخالق سيد أبو رابية . من رسائل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . العدد ١٧٩ - القاهرة طبع بمطابع الأهرام التجارية ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

٣٨ - القانون الروماني . د . محمود سلام زناني .

٣٩ - الكامل في التاريخ . لابن الأثير . طبعة دار بيروت ودار صادر .

٤٠ ـ المأمون الخليفة العالم . د . محمد مصطفى هدارة . سلسلة أعلام العرب رقم ٥٩ الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٤١ ـ المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ . (رسالة دكتوراه) قدمها محمد عويس محمد لجامعة القاهرة سنة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ .

٤٢ ـ المجتمع العراقي في العصر العباسي الأول . (رسالة ماجستير) قدمها صلاح عبد الهادي مصطفى الحيدري لجامعة الأسكندرية / كلية الأداب سنة ١٩٧١ .

٤٣ ـ مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد . عدد ٤ سنة ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢ .

٤٤ ـ مختصر التاريخ . لابن الكازروني . تحقيق د . مصطفى جواد . مطبعة الحكومة ببغداد .

٤٥ ـ المستشرقون والإسلام . د . عرفان عبد الحميد . مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٦٩ .

٤٦ ـ معاهد التعليم في العصر العباسي الأول . رسالة قدمها أبو العينين نجم لجامعة الأزهر سنة ١٩٣٧ .

٤٧ ـ معجم البلدان . لياقوت الحموي . ط١ مطبعة السعادة

بالقاهرة ١٣٢٣ هـ ـ ١٩٠٦ م .

٤٨ ـ المغني . لعبد الله بن أحمد بن محمود بن قدامة . دار الكتاب العربي ببيروت ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

٤٩ ـ مقدمة ابن خلدون . تحقيق د . علي عبد الواحد وافي . ط١ و ط٢ لجنة البيان العربي .

٥٠ ـ نظام البريد في الدولة الإسلامية . (رسالة ماجستير) قدمها نظير حسان سعداوي لجامعة القاهرة سنة ١٩٤٤ .

٥١ ـ هارون الرشيد . د . عبد الجبار الجومرد . مطبعة دار الكتب ـ بيروت ١٩٥٦ .

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٧٣٤ / ١٩٨٥
الترقيم الدولي ١ ـ ٢٩ ـ ١٤٢٠ ـ ٩٧٧



٦ شارع البراموني ـ عابدين ـ القاهرة ت : ٩١٤٨٨١

سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية

تقرأ فى هذه السلسلة :

١ ــ العصريون معتزلة اليوم	يوسف كمال
٢ ــ جذور العلمانية	د . سيد فرج
٣ ــ الدولة والسياسة فى فكر حسن البنا	جابر رزق
٤ ــ تهافت قبل السقوط وسقوط صاحبه	عبد المجيد صبح
٥ ــ نظام الإسلام السياسى	محمد على قطب
٦ ــ شبهات حول العصر العباسى الأول	د . مؤيد فاضل ملّا رشيد
٧ ــ الدولة الإسلامية والحكومة الدينية	محمد على قطب
٨ ــ قوى الشر المتحالفة (الاستشراق ــ التبشير ــ الاستعمار)	فضيلة الشيخ محمد محمد الدهان
٩ ــ الزواج الثانى	عبد الحليم خفاجى

الناشر

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع

المنصورة ــ أمام كلية الطب

☎ ٣٢٧٤٢٣ ــ ص ب ٢٣٠